Orient. Seminar
UNIVERSITÄT
78 Freiburg/Br.
Inv.
Az 14/8

المقتطف

الجزء الاول من المجلد السادس عشر بعد المئة

١ يناير سنة ١٩٥٠ ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٦٩

القضاء والقدر

مسكين هذا القضاء والقدر. تحدث الجريمة والمجرم مجهول أو غير ظاهر فتلقى المسؤولية على « القضاء والقدر » . مثال ذلك : سقط بيت قديم أو جديد على ساكنيه. فقتلهم . فيقال : أن القتل حدث قضاءً وقدراً . ومن يعاقب القضاء والقدر ؟

وهو معلوم إنه لا معلول بلا علة . وما من حادث إلاَّ لهُ سبب أو سلسلة أسباب. فإذا جهلنا الأسباب أتهمنا « القضاء والقدر » . إذا بحثنا عن سبب سقوط البيت حصرنا السبب في مصلحة التنظيم التي من واجباتها مراقبة البناء حين يبنى وحين يشرف على الهبوط . فأولاً : على هذه المصلحة أن تقف على البناء حين يبنى لكي ترى أنه يبنى حسب الأصول الفنية . وثانيا : أن تفحص الأبنية المشتبه فيها إن كانت آئلة الى السقوط . وثالثاً: إذا رأت أن المنزل متداعٍ فتنبه على السكان أن يرحلوا، وعلى صاحب المنزل أن يهدم منزله، تفعل مصلحة التنظيم هذا ثم توكل « القضاء والقدر » بالأمر . والقضاء والقدر لا يحمي السكان ولا صاحب المنزل ولا مصلحة التنظيم لأنه غير مسؤول . إذاً مَن المسؤول ؟

قس على هذه حادثي الاصطدام في السكك الحديدية وما أدرانا أن تلقى التبعة على القضاء والقدر ألا يجب أن تقع المسؤولية كلها على المصلحة ؟ من القاتل ؟ ومن يدفع الدية ؟ القضاء والقدر ؟ . وما شأن التنظيم ومهندس التنظيم وصاحب المنزل الذي أُنذر ولم يهدم إلاَّ كشأن سائق السيارة الذي يدوس عابر السبيل ثم يزمّر وأخيراً في التحقيق يقال حدث الحادث قضاء وقدراً ، لأن المسحوق تحت العجلات لم يتنبَّه مع ان السوّاق زمّر .

كثيرٌ ما يحدث من الحوادث التي تكون أسبابها غامضة فتحال على القضاء والقدر : ولكن ما من حادث إلاَّ وله سبب . فلنبحث عن الأسباب.

تضخم الكون الاعظم

منشؤه ومصيره

المتناهي واللامتناهي

قبل ظهور نسبية اينشطين كان الفلاسفة إذا ساقهم التفكير إلى سعة الكون فلا يرون بدًّا من الاستسلام إلى نظرية اللانهاية. فيقولون الكون مادةٌ ومساحةً (مكاناً) غير متناهٍ. أي هو مكان لا نهاية له وأجرام لا نهاية لعددها سابحة فيه. وإذا خطر لواحد أن يذهب إلى أن لهيولى (مادة) الكون قدراً معيناً قامت الاعتراضات في سبيل خاطره. وإذا سئل صاحب هذه النظرية (نظرية مقدار المادة المتناهي في المكان غير المتناهي) أين هو موقع المادة المعينة القدر في فسحة الكون غير المتناهي، فلا يحير جواباً. لأنه لا يقدر أن يعين موضعاً في رحبة الكون التي لا نهاية لها، ما دامت خالية من أي شيء آخر يعتبر كعلامة تقاس من عندها الأبعاد. وبناءً على هذا العجز عن الجواب حكم الفيلسوف « كنت » بأنه لا يمكن أن توجد مادة معينة المقدار في رحبة الوجود غير المتناهية. وإذاً فالهيولى غير متناهية في رحبة الوجود غير المتناهية أيضاً.

ولكن العقل البشري يحار في اللامتناهي، كما أنه لا يستطيع أن يتصوَّر حدوداً للمتناهي ليس وراءها شيء. فهو بين المتناهي واللامتناهي حيران ما دام يعتمد على التصوُّر فقط. وإنما إذا لجأ إلى العلم فقد يجد ما ينقذهُ من الحيرة، ولاسيما إذا صرف ذهنه عن التصوُّر واعتمد على منطق العلم فقط.

بقيت مسألة اللانهاية لغز الوجود إلى أن انجلت للعقل البشري « سنة الجاذبية » ودعمها « ناموس النسبية »، فاتضح للعقل النير أن الكون، وإن كان غير متناهي المكان، فلا يمكن أن يكون غير متناهي المادة، بل لا بدَّ أن تكون المادة فيه قدراً معيناً يشغل فسحة معينة من المكان، وبعد هذه الفسحة خلاء غير محدود، يصح أن يكون ما يسمونه « العدم ».

وفحوى برهان اينشطين صاحب نظرية النسبية على هذا القول هو أن الكون إذا كان مكاناً غير متناهٍ، تشغله سُدُم وأجرام وشموس وسيارات لا عدد لها، وجب بمقتضى ناموس

الجاذبية الذي لا مناص من فعله فيها جميعاً أن تتحرك هذه الأجرام في المكان اللامتناهي بسرعات أعظم جدًّا من سرعاتها التي نعرفها، بل بسرعات تفوق حدّ التصوُّر : تتجاوز سرعة النور . وهو أمرٌ مستحيل بحسب ناموس النسبية الذي كشف عن ان سرعة النور هي منتهى السرعة في الوجود، ولا يمكن أن تفوقها سرعة أخرى .

بحسب برهان أينشطين هذا (وقد شرحته في كتابي النسبية) يستحيل أن تكون اجرام المادة غير متناهية العدد، بل هي قدر معين في رحبة معينة من رحاب المكان غير المتناهي. فالحيز الذي تشغله هذه الأجرام هو ما يسميه علماء اليوم « المكان » Space وما وراءه خلاء يسمى « العدم ».

حيز الكون الهيولي

وهنا يبدو الى ذهن القارىء أن يسأل : أي شكل هندسي يتخذ هذا الحيز المادي ؟ هل هو مكعب أم كرة أم لوح مستطيل مستقيم ذو طول وعرض وسماكة ؟

والجواب بحسب برهان اينشطين أنه ليس شيئاً من ذلك، وإنما هو لوح ذو طول وعرض وسماكة. ولكنه غير مستقيم بل هو منحنٍ من جميع جهاته بحيث تلتحم حواشيه بعضها ببعض، فيصبح بشكل كرة فارغة تامة الاستدارة أو بيضية الشكل.

واينشطين يرجح الشكل البيضي لاعتبارات ليس هنا محل شرحها. وإنما لتسهيل التصوُّر على القارىء فيما يلي من بحثنا، نفرض هذا الحيز المادي كرة فارغة الجوف، أي أن جوفها خلاء (عدم) كالخلاء الذي حولها . واجرام المادة سابحة في جلدة هذه الكرة سُدُماً أو مجرات كمجرّتنا، كلها سائرة متساوقة في اتجاهٍ واحد، في سماكة جلدة الكرّة التي نحن بصددها، بقوّة الجاذبية المتبادلة بينها .

ومن مقدار انحناء جزء من هذه الجلدة كما قيس بالأرصاد المختلفة أمكن قياس نصف قطر هذه الكرة الكونية، فوجد أنه بطول ٥٣٤٠ مليون سنة نور، أي أن النور (الذي يسير بسرعة ٣٠٠ ألف كيلومتر بالثانية) يقضي ٥٣٤٠ مليون سنة حتى يعبر مسافة تساوي نصف قطر الحيز الكوني . ومن مقدار توزع تلك المجرّات أو السُّدُم في جزء معين من جلدة الكرة الكونية أمكن حساب مجرّات الكون كله، فإذا هي نحو مليوني مجرّة . ولما أعلن إينشطين هذه النتائج من بحثه عن حجم الحيز المادي قال إن هذا الحجم بما فيه من هيولى منذ الأزل وإلى الأبد لا يزيد ولا ينقص . أي أنه وعاء (بالشكل الذي تقدم وصفه) تتوزع فيه اجرام المادة، وتتحرك فيه دائرة على محاورها، وهي تتدحرج فيه باتجاه واحد .

وقد حسب الحاسبون عدد ما فيه من كهارب وما يقابلها من بروتونات فإذا هي $١٠^{٧٩}$ أي واحد الى يمينه ٧٩ صفراً .

ولكن ما ظهر بحث اينشطين هذا حتى ظهر من أرصاد هوبل المشتغل في مرصد ويلسن في كاليفورنيا (أميركا) ان المجرّات والسُّدُم تتباعد باستمرار كأنها تتشتت في الفضاء الخالي . ودرس « دي ستر » أرصاد هوبل درساً دقيقاً ، وبرهن أن حجم الكون الذي وصفه اينشطين بكونه ثابت المقدار، أي لا يتسع ولا يضيق ، إنما هو آخذ بالاتساع، وإنه غير ثابت في سمةٍ واحدة . وإن كانت المادة التي تشغله لا تزيد ولا تنقص . أي أن المادة التي فيه تخرج عن حدوده التي قررها اينشطين . وذلك بتضخم حجم الكون كل هنيهة من الزمان

لم يعين دي ستر متى ابتدأ حجم الكون الأعظم يتضخم — لم يقل كم كان نصف قطره حين ابتدأ يتضخم . وإنما اقتصر على القول إنه آخذ بالتضخم. ولكن الأب لامتر العلامة نشر رسالة بهذا البحث برهن فيها أن الكون شرع ينتفخ منذ نشأ . وهذا يستلزم أنه لم ينشأ كرة فارغة كما وصفه اينشطين (على حاله الحاضرة) ، بل كان كرة صغيرة جدّاً كثيفة، ثمَّ جعلت تنتفخ تدريجاً كأن قوّة في مركزها كانت تدفع أجزاءها إلى الخارج . ففرغت من الداخل لتجمع أجزائها في محيطاتها ، وأصبحت كجلدة كرة مطاط ، وكما هي الآن . ولا تزال تنتفخ كما قال دي ستر

فالكون ابتدأ كما برهن الأب لامتر
وهو الآن كما برهن اينشطين
ومستقبلهُ كما وصف دي ستر

ولما علم اينشطين بأرصاد هوبل التي أثارت تفكير دي ستر ولامتر ، برح الى أميركا خاصة لكي يقف على تلك الأرصاد بنفسه ويتأكد صحتها . فلما شاهد ما شاهده هوبل ودرس ما درسه هناك عاد مقتنعاً . وجعل يدرس انتفاخ الكون هذا ويبحث عن قاعدة رياضية له ،وان كان قد عزَّ عليه أو على سواه أن يفهم السبب . وانما فرض لناموس الجاذبية سجية أخرى وهي ان قوة الدفع عن المركز Centrifugal force أقوى من قوة الجذب الى المركز Centripetal force . فسمى الزائد في قوة الدفع : « الدفع الكوني » Cosmeic Repultion وحسب مقداره فاذا هو قدر ثابت Constant بالنسبة الى نصف قطر الكون مهما تمدد . وبناءً على ذلك عدل قانون جاذبية نيوتن هكذا : — $(G_{\mu\nu} = \lambda g_{\mu\nu})$

والراسخون في العلم يفهمون هذه المعادلة . ومحرر هذا المقال ليس منهم .

سرعة تشتت المجرات

كان هوبل في مرصد جبل ويلسون في كاليفورنيا أول من اكتشف سنة ١٩٢٩ أن المجرات تبعد عنا بسرعات مختلفة، وان أبعدها أسرعها (لسبب ستعلمه فيما بعد). وحتى سنة ١٩٣١ كان قد اكتشف سرعة ٩٠ مجرة منها ٨٥ تتباعد عنا و ٥ تقترب الينا، واقتراب هذه الخمسة يناقض بالظاهر نظرية انتفاخ حجم الكون، التي تستوجب أن جميع المجرات تتباعد بعضها عن بعض. ولكن اقترابها يمكن تعليله بأمرين معاً. الأول أن هذه المجرّات أقرب المجرّات التسعين الينا ونحن نرصدها من نظامنا الشمسي ونراعي خط النور اليها من أرضنا، لا من مجموع مجرتنا جملة. فاذا راعينا سرعة نظامنا الشمسي من ٢٠٠ الى ٣٠٠ كيلو متر في الثانية في قرص المجرة، كنا نحن نقترب الى تلك المجرات أكثر مما هي تبعد عنا. ولكن لو راعينا خط الرصد من مجرتنا عموماً لا من نظامنا الشمسي خصوصاً رأينا أنها تبعد عنا. والثاني أن منطقة مجرتنا واقعة بين منطقة هذه المجرات ومركز الكون، وبحسب ناموس التسارع هي أسرع منها في مجرى الكون. فاذا كانت المجرات الخمس الدانية الينا تجري أمام مجرّتنا، فمجرّتنا تجري وراءها أسرع منها، ولذلك يبان لنا انها مقتربة الينا. والحقيقة أن مجرتنا مسرعة اليها. إذن اقتراب المجرات الخمس من التسعين لا ينقض نظرية ان جميع المجرات تتباعد متشتتة التي سنشرحها جليًّا فيما بعد.

وكان سليفر من ناحية ثانية يرصد المجرّات أيضاً ويستخرج سرعاتها. فاستخرج سرعة ٤٠ منها، بينها ١٢ مجرة تتباعد بسرعة ٨٠٠ — ١٨٠٠ كيلو متر بالثانية. وهومسون في مرصد ويلسون اكتشف سرعات هائلة، منها سرعة مجرّة في خط الكوكبة جميني Gemini تتراجع بسرعة ٢٥ ألف كيلو متر بالثانية، وهي تبعد عنا ١٥ مليون سنة نور. ولا ريب أن هناك مجرات أقصى من هذه وسرعتها أعظم.

وإذا جعلنا مجرتنا مركزاً ورسمنا حولها غلافاً كرويًّا نصف قطره مليون سنة نورية كان ما اكتشفته الأرصاد وراء هذه الكرة ٨٠ مجرةً تتباعد تاركةً خلاءً وراءها لا تحتله مجرات أخرى غيرها بعدها. وقد استخرج هوبل من مجموعة ارصاده للمجرات قانوناً لسرعتها. وهو ان معدل السرعة ٥٥٠ كيلومتراً لكل مليون فرسخ والفرسخ ٣،٢٦ سنة نور. إذن المجرة التي على بعد ٣،٢٦٠،٠٠٠ سنة نور تتباعد بسرعة ٥٥٠ كيلومتراً. هذا قانون تقريبي وقد يكون فيه خطأ نحو ٢٠ بالمئة. وآخرون يزعمون أن معدل السرعة لكل مليون فرسخ يتراوح بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ كيلومتراً بالثانية.

ثم حُسِب أن تباعد المجرّات باستمرار على هذا النحو يجعل أبعادها تتضاعف كل ١٣٠٠ مليون سنة.

ولعلَّ قارئاً يسأل كيف أمكن اكتشاف تباعد هذه الأجرام العظمى وسرعاتها ، وهي على أبعاد سحيقة ؟ فهل تستطيع المراصد أن تُري سرعتها وانتقالها في مدات قصيرة ؟

والجواب أن المراصد العينية لا يمكن أن تكشف للعين أبعاد هذه المجرات وسرعاتها وتنقلاتها . ولكن العلم الفلكي يعتمد على ثلاث وسائل لاكتشاف الأبعاد والسرعات بمساعدة المرصد العيني طبعاً . الأولى التصوير الفوتوغرافي ، فإن اللوحات الفوتوغرافية أو الأفلام تظهر ما خفي على العين . والثانية وهو الأهم ، المطياف (السبكتروسكوب) فإن انحراف الطيف فيه عن موضعه الأصلي يدل على بعد الجرم وسرعة ابتعاده أو اقترابه . والثالثة المقايسة بمقدار لمعان الضوء . ولكل من هذه الوسائل دروس قائمة بذاتها تقتضي التخصُّص .

كيف ينتفخ حجم الكون

والآن نشرح كيفية انتفاخ الكون بسبب تشتت المجرات وتباعدها بعضها عن بعض . وتسهيلاً للايضاح نلفت نظر القارىء الى الرسم . نتصوَّر الكون كرة فارغة . ولنفرض أننا

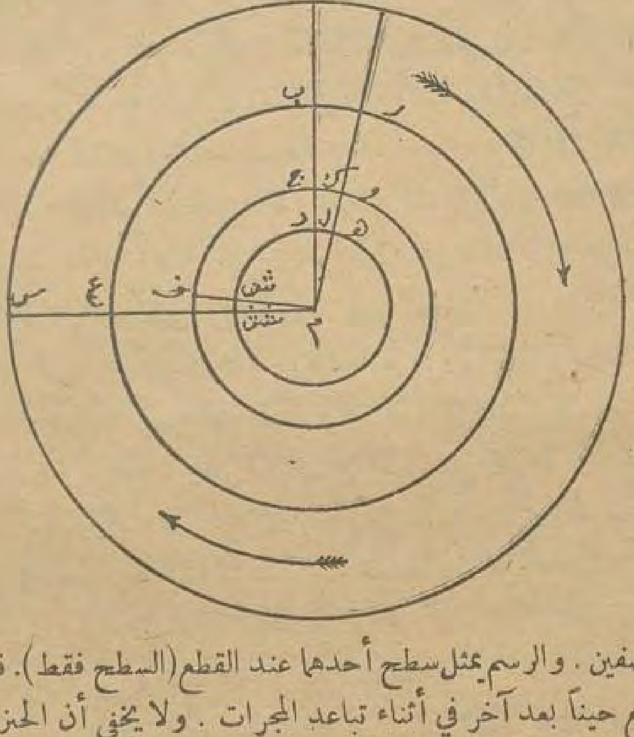

قطعنا الكرة نصفين . والرسم يمثل سطح أحدهما عند القطع (السطح فقط) . فلنرَ الآن كيف يكون هذا القطع حيناً بعد آخر في أثناء تباعد المجرات . ولا يخفى أن الحيز محدَّد بما فيه من أجرام . فكلما تباعدت الأجرام انمطَّ هذا الحيز . وإذا قلنا الحيز انمطَّ عنينا أن

الأجرام التي فيه مطّته بتباعدها . فلنعبّر عن تباعد الأجرام بأمطاط حيزها .

لنفرض أن المنطقة (في الرسم) التي بين هـ د ج و . على تمام الدائرة حول المركز م تمثل «قطع» الكرة الكونية في زمن من الازمان . والمجرات في هذه المنطقة دائرة في اتجاه السهام، والمنطقة التي ضمنها حول م فارغة (عدم)، كما ان ما حول المنطقة فراغ (عدم) أيضاً

ثم لنفرض أن في جلدة الكرة أو قشرتها التي تسبح فيها المجرات . قوة دافعة ملازمة لها تمطها الى الخارج . فبالطبع تبقى تلك المجرات فيها ملازمة لها . فماذا نرى بعد امطاطها

لتسهيل التصوّر تصوّر بالوناً أبيض من المادة المطاطة كالبالون الذي يلعب به الأحداث، وقد رقط بنقط سود على أبعاد متساوية فيما بينها . ثم تصوّر إنك نفخت هذا البالون الى أن زاد قطره نحو ربعه أو ثلثه مثلاً . فماذا ترى ؟ ترى أن النقط السود قد تباعدت بعضها عن بعض نحو ثلث المسافة بينها أيضاً . وإنما تبقى نسبة التباعد بينها واحدة أي متساوية كما كانت قبلاً .

على هذا النحو تصوّر الكرة الكونية انتفخت في مدة معينة، بحيث أن نصفها الداخلي اتسع فانتقل من هـ د الى و ج (على اتساع الدائرة) . وبالطبع ينتقل سطحها الخارجي و ج الى ر ب . وتصبح المنطقة الفارغة هي بين الدائرتين الداخليتين . فماذا تصبح نسبة المجرات بعضها الى بعض .

(تصوّر ان في منطقة القشرة بين دائرتين مليوني مجرّة منفرقة فيها) .

المجرّة د تنتقل الى ج — والمجرّة ل تنتقل الى ك — والمجرّة هـ الى و . وهكذا الخ . وحينئذٍ لاحظ ان المسافة من د الى ل صارت المسافة من ج الى ك أي طالت . وكذلك المسافة د هـ صارت ج و . وهذه أطول .

ومعنى ذلك إنه في مدة الانتقال كانت ل تبعد عن د قل ٥٠٠ كيلومتر كل ثانية مثلاً . ولكن هـ كانت تبعد عن د ١٠٠٠ كيلومتر كل ثانية، لأنها بعيدة عنها مضاعف مسافة ل د اذا صارت د بعد ١٣٠٠ سنة نور عند ن وصارت ل عند ط تصبح المسافة بينهما مضاعف د ل

بعد هذا الشرح تفهم كيف أن المجرات كلما كانت بعيدة عنا تراءت لنا أسرع، مع انها جميعاً تبتعد عن المركز م بسرعة واحدة . وإنما في أية مجرة من مجرات الكون الأعظم كنا نرى هذه الظاهرة بعينها، أي أن المجرة القصوى أسرع ابتعاداً بالنسبة الينا . ولكن ليست كذلك بالنسبة الى مركز الكون الأعظم

هذا المط أو الانتفاخ لا يقتصر على حجم الكرة فقط بل يلحق جلدتها أي سماكة محيطها أيضاً . أي أنها فيما هي تنتفخ جلدتها نفسها تسمك أيضاً .

لما انتقلت الجلدة من ف ع إلى ع س صارت أسمك. وإنما نسبة نصف القطر الفراغي م ف الى نصف القطر الشامل للجلدة م ع تبقى واحدة هكذا: — $\frac{\text{م ف}}{\text{م ع}} = \frac{\text{م ع}}{\text{م س}}$ دائماً وهذا ما اكتشفه اينشطين كما اقتضته نسبيته. ومنه استخرج ثابت الدفع الكوني λ = Cosmic Repultion وأضاف هذا الثابت الى معادلة الجاذبية النيوتونية

فاذا رمزنا عن الشعاع (الراديوس) أي نصف القطر الفراغي م ف بالحرف ش، وعن الشعاع الشامل الجلدة م ع بالحرف شش، كانت النسبة بينهما بحساب اينشطين وآخرين هكذا

$$\text{شش} = \text{ش} \times \sqrt{\text{٣}}$$

أو $\text{٣ ش}^{\text{٢}} = \text{شش}^{\text{٢}}$. وقد حسب اينشطين «الدافع الكوني الثابت هكذا $\text{س} = \frac{\text{٣}}{\text{شش}}$ باعتبار أن س رمز لهذا الثابت λ

وقد حسبوا الشعاع المتوسط قبل ابتداء الانتفاخ فوجدوا أنه كان ١٠٦٨ مليون سنة نورية. ويقال إنه امتدَّ حتى الآن خمسة أضعافه فأصبح ٥٣٤٠ مليون سنة نور، فيكون محيط الكون الأعظم نحو ٣٢٠٠٠ مليون سنة نورية

صلة الشعاع في محيط الكون

ولكن أحقيقي أن شعاعة نور تصدر من أي جرم تطوف الكون أم أنها تعبر الفراغ الداخلي من جنب الى جنب متخذة أقرب مسافة؟

والجواب أنها لا تستطيع أن تعبر ذلك الفراغ لأن الجو الجاذبي في جلد الكرة الكونية التي نحن بصددها أقوى جداً منه في الفراغ الداخلي، فلا تدعها تخرج الى الفراغ بل تضطرها أن تسير في الحيز الكوني (الجلدة) متخذة خطاً منحنياً كانحنائه. وقد برهن اينشطين انحناء خط النور في الجو الجاذبي وأيدت الأرصاد برهانه.

وهنا قد تخطر في بال القارىء هذه الفكرة. وهي: ان أشعة النور التي تصدر من أي مكان تطوف حول الكون وتعود بعد ٣٢ ألف مليون سنة الى حيث صدرت. فلو استطاع انسان أن يخترع مرصداً قويّاً جدّاً بحيث يمكنه أن يتبين به الأشباح عن هذا البعد السحيق — لأمكنه أن يرى بمرصده هذا بعد ٣٢ الف مليون سنة (عمر طويل) طيف ظهره. أحقيق هذا؟

نعم انه حقيق إذا كان حجم الكون ثابتاً لا يتسع ولا يضيق كما حسبه اينشطين أولاً، ولكن إذا كان حجم كرة الكون الأعظم ينتفخ كما قال ديستر ولامتر، فالشعاعة لا تعود الى حيث صدرت لأن مصدرها انتقل من مكانه وابتعد كثيراً.

هذا ما يجيب به العلاّمة السير ادينغتون على هذا الخاطر . ولكن لهذا العاجز ملاحظة وضيعة على هذا الجواب (مع الاحترام الكلي المرحوم ادينغتون) تؤيد الخاطر الاول لنفس السبب الذي يستعين به ادينغتون وهو : —

نعم ان الكون منتفخ ومصدر الشعاعة انتقل من مكانه في الفضاء . ولكنه لم ينتقل من مكانه في الحيز الكوني المنتفخ . نعم أن الطريق الدائري الذي سلك فيه النور استطال وابتعد عن مركز الكون . ولكن النور ما زال ملازماً هذا الطريق (بحكم الجوّ الجاذبي كما تقدم القول) وسيّان عنده انتفخت دائرة هذا الطريق أو تقلصت فهو سائر فيها ملازماً لها في حالة تمددها .

وانما يبقى علينا أن نحسب حساب مسير المجرة (التي صدرت منها الشعاعة) في مجرى السدم الكوني المتتابع . فهذا السير لا يغير اتجاه مصدر الشعاعة وانما يبعده عن اقبال الشعاعة اذا أقبلت من ورائه ، أو يقرّبه اليها إذا اقبلت عليه من أمامه .

كيف بدأ تمدد الكون وكيف ينتهي

نعود الآن إلى كيفية ابتداء تمدد الكون حسب نظرية لاميتر . المفهوم من نظرية لاميتر التي أيدها بالمعادلات الرياضية المسندة الى المعلومات عن ظاهرات الطبيعة وإلى الأرصاد الفلكية — أن الحيز الكوني ابتدأ تجمعاً كثيفاً جدّاً حين تكوّنت الهيولى فيه كهارب وبروتونات . وهي تدور دورات محورية ودورات مركزية . أي أن أفرادها كانت تدور على محاورها ، وجماعات منها تدور عن محاور مجموعاتها . ثم لما صارت تتباعد عن المركز بقوّة الدافع الكوني Cosmic Repultion (وما هو إلاّ قوّة الإبتعاد عن المركز Centrefugal) شرعت الجماعات تدور حول مراكزها وكلها حول المركز الأصلي

وما زالت تتباعد حتى أصبح ما حول المركز فراغاً ، وما زال الفراغ يتسع وقشرته الهيولية تنمط إلى أن انفجر فتمزقت قشرته الى مجرّات كما تتفجر فقاعة الصابون إذا تماديت في نفخها ، واستقلت كل منها عن الأخرى واتسعت الرحاب بينها لتباعدها هي . وإنما بقيت قوة الجاذبية بينها كافية لحفظها في غلاف الحيز الكوني . ولا يزال هذا الحيز الكوني ينتفخ على هذا النحو برأي لاميتر ودي ستر وفريدمان أيضاً ، وسينفجر انفجاراً ثانياً يتضعضع فيه توازنه الحالي ، وتتشتت المجرات تشتتاً فوضويّاً ، وتشرد في الفضاء اللامتناهي

في هذه الحالة يصبح التباعد بينها أسرع فأسرع الى أن يتجاوز سرعة النور . فلا تعود المجرّة الواحدة ترى طيف المجرّة الأخرى لأن نور هذه لا يدركها .

وثمّ ماذا ؟

في رأي بعضهم ومنهم السير جايمس جينز : حينئذٍ تكون أجرام الكون قد ذابت

أو قاربت الذوبان بفعل التشعع الذي تنطلق به القوة وتتلاشى الذرات في فوتونات . وحينئذٍ قد تعود ذريرات الهيولى إلى تجمع آخر كتجمعها القديم لكي تعيد عملية تكوين الكون : إما طبق الأصل ، أو على نمط آخر ، الله أعلم كيف يكون .

هل التمدد عام ؟

بقيت نقطة جوهرية قد تلوح في خاطر القارىء المفكر وهي : إذا كان الدفع الكوني Cosomical Repultion سنة الوجود كسنة الجاذبية ، أفلا يعمل عمله في المجرات نفسها، ثمَّ في الكوكبات العنقودية ، ثم في النظم الشمسية (إن كان ثمت نظم أخرى غير نظامنا الشمسي) وإذا كان يعمل عمله فيها فلا بدَّ إذاً أن تنتفخ أحجام المجرات بنوبتها فتنتفخ أحجام الكوكبات وينتفخ حيز النظام الشمسي بنوبته أيضاً . وبالاجمال يكون هذا الانتفاخ عامًّا على نسبة واحدة، تنتفخ كل جماعة مادية، كل على حسب قدرها

أجل إن هذه الملاحظة وجيهة جدًّا . ولكن الواقع يناقضها . قد تقول أرني كيف يناقضها فأقول : إن هذه النظرية قاتلة نفسها بنفسها لأنه لو كان الإنتفاخ أو التمدد عامًّا بنسبة واحدة لكل سديم وكل جرم في كل جماعة ماديَّة على قدرها ما كنا ندركه بتاتاً، ولا نحس به ولا نميزه، لأنه حينئذٍ يتمدَّد المتر الذي نقيس به، والذراع والباع والكيلو متر والجزيء والذرة والكهرب والبروتون حتى الفوتون الخ . والكرة الأرضية والسيارات والشمس الخ . وبالتالي أجسامنا نفسها تتمدَّد وعيوننا تتمدَّد ونظرنا يتمدَّد الخ . فكيف نستطيع أن نميز هذا التمدد إذا لم يبق شيء في الوجود لم يصبه هذا التمدُّد على نسبة واحدة ؟

فكون أرصادنا تدلنا على أن الأجرام تتباعد بعضها عن بعض لهو دليل واضح على أن الأجرام نفسها لم تتمدَّد بنسبة تمدُّد الحيز الذي تتحرك فيه .

فالمجرَّات تتمدَّد أقل من تمدُّد الحيز الكوني . وكوكباتها Constelation تتمدَّد أقل منها ، والأنظمة الأخرى أقل فأقل كلما تجاوز الى الأحجام الصغيرة حتى إنك تجد بعضها لا تزال في دور التقلص .

حاشية — نلفت نظر القارىء إلى أن هذا البحث وأمثاله من البحوث التي يطمح فيها العقل البشري الى استكناه أسرار الوجود لا تعتبر في حكم المؤكد ، حتى ولا حكم الراجح، لأن المعلومات العلمية والأرصاد والاستكشافات التي بنيت عليها ليست حقائق راهنة، بل هي تقريبية. وربما تيسر لأهل العلم أن يزيدوها تأييداً، أو يعدِّلوها، أو ينقحوها، أو ينفوها بتاتاً بما يستجد عندهم من معلومات أصح وأقرب الى الحقيقة . والله فوق كل ذي علم .

نقولا الحداد

لو نضب البترول

استخرجناه من الماء والهواء والصخور

يقول معظم العلماء الجيولوجيين أن البترول الأميركي ينفد في نحو ٣٠ سنة ، وبترول سائر العالم ينضب في أقل من قرن . ثم يتساءلون : ماذا نفعل حين نكون قد استهلكنا جميع موارد البترول في العالم .

ويظن بعضهم أن استخراج البترول من الفحم وغيره يتيح للعالم أن يستعيض بالبترول الصناعي الكيماوي عن البترول الطبيعي . ولكن الفحم نفسه مقبل على النفاد أيضاً واستقطار البترول منهُ كثير النفقة . فلا ملاذ باستخراج البترول الصناعي لأننا نكون كالمستجير من الرمضاء بالنار .

والحق يقال إن هذه المسألة حيوية جدًّا للجنس البشري لأنه يعتمد الآن على البترول في استخراج الطاقة واستعمالها أكثر من أية مادة أخرى ، وكأن « اللحاف » الذي كانت الدول تتنازع أطرافه في هذه الحرب الأخيرة هو البترول . فلك أن تقول إنه لولا بترول رومانيا والقوقاس وأوكرانيا وإيران والعراق وبلاد العرب وغيرها لربما لم تشب الحرب

تقاتلت الدول على البترول ، وفي قتالها استهلكت البترول . وقبل ذلك كانت تتقاتل على الفحم ، والفحم استهلكت في قتالها . والانسان نفسه الذي يخاف من نضوب البترول يستهلك البترول بإسراف لا حدَّ له . فلا بدع أن يتخوَّف من نضوبه

فما العمل متى نفد البترول والفحم وهما المعوَّل عليهما في الوقيد لاستخراج الطاقة للسيارات والطائرات الخ ؟ إن الذين قالوا بنضوب ينابيع البترول قالوه لاعتقادهم أن البترول مخزون في بطن الأرض بقدر محدود . ولابد أن يفرغ . من قال لهم هذا ؟ وكيف استنتجوه ؟

يسمون مصادر البترول ينابيع . والينبوع يشح أحياناً ثم يفيض ، ولكنه لا ينضب بتاتاً ، لأن الوارد إلى مصدره من باطن الأرض لا ينقطع ، فهو كينبوع الماء ما دام الثلج والمطر يقومان على الجبال ويتغلغلان في شقوقها فالنبع لا ينقطع .

البترول كذلك . الطبيعة التي صنعت البترول الذي نستنفده بإسراف لا تزال تصنعه ولن تزال . فما هو من صنع زمن محدود من الأزمنة ثم توقف صنعه ، حتى نقول إنه

يفرغ . الطبيعة تعمل اليوم كما كانت تعمل منذ مليون سنة . ومواد البترول مقتصرة على ثلاثة عناصر : الأكسجين والكربون والهدروجن . وهي عناصر موجودة في الطبيعة بغزارة لا حد لها . بل لك أن تقول : إن معظم مادة الأرض مؤلف من هذه العناصر الأكسجين هو العنصر الأوفر في ماء البحار والأنهار والينابيع وفي المواد الترابية أيضاً وفي الهواء . والهدروجن موجود أيضاً في الماء والمركبات الترابية . والكربون هو العنصر المهم في الحجر والتراب « هو كربونات الكلس » . إذن فالطبيعة غنية غنىً فائقاً بالعناصر التي يتألف منها البترول . والطبيعة أمهر كيماوي ، وصدرها أعظم معمل كيماوي . فتصنع البترول على التوالي بالطريقة التي لا نزال نجهلها ، وقد نعلمها في المستقبل .

هذا رأي معظم العلماء في أصل البترول . وهناك فريق يظنون أنه من تصفيات المواد العضوية المخزونة في قلب الأرض كالفحم الحجري منذ ملايين من السنين . وقبل التقلبات الجيولوجية التي طمرتها كانت نباتات على سطح الأرض . ولكن هذا الرأي من حيث البترول لا من حيث الفحم أضعف من الرأي السابق لاعتبارات لا محل لشرحها هنا .

يمكن أن يشح مورد البترول ولكنه لا ينضب نضوباً تاماً لا في قرن ولا في قرون، ما دامت الطبيعة تعمل أعمالها من غير أن تستشير الإنسان .

ثم يسأل سائلٌ أين يذهب البترول والفحم متى احترقا ؟ هل يفنيان بتاتاً ؟

من سنن الطبيعة التي لا تتغير أن الطاقة « أي القوة » كالمادة لا تفنى ، بل تتحوَّل من حال إلى حال . وهكذا البترول والفحم متى احترقا تحوَّلا إلى غاز (بخار) الحامض الكربوني وبخار الماء ، ثم يذهبان في الهواء . فيتغذى بهما النبات ، والنبات بعضه طعام الإنسان والحيوان البري والبحري . وبعضه يُستَحطب ويصنع منه فحم صناعي للإحراق أيضاً . والحيوانات بنوبتها كالنباتات : غذاء بعضها لبعض . وغذاء الإنسان أيضاً . ومتى ماتت الحيوانات والنباتات وبليت تحوَّلت بنوبتها الى غاز الحامض الكربوني وبخار الماء. وهكذا تدور الدائرة الى الأبد .

فإذا كان الفحم والبترول المحترقان يُعدَّان غذاءً للنباتات فالحيوانات ، فإذن لا بدَّ أن تكون النباتات قد زادت على سطح الأرض عما كانت عليه منذ بدء استعمال الفحم والبترول والإنسان ينتفع بهما بعد احراقهما على كل حال ، والأحياء زادت على سطح الأرض وفي البحر . فما ذهبت المادتان سدىً كما يظن .

وإذا كان العلماء يستطيعون أن يستنبطوا البترول من الفحم فلا يعجزون عن استخراجه من الصلصال والماء ، لأنهما يحتويان على مواده أو عناصره الثلاثة التي ذكرناها آنفاً ، كما

استطاعوا أن يستخرجوا الكوتشوك من اللبن ومن مواد أخرى، وكما أنهم حولوا الخشب إلى خيوط للنسيج وإلى كُحُول (سبيرتو) وإلى سكر ونشاء، وكما جعلوا من الزجاج خيوطاً وأنسجة، وكما استطاعوا أن يعملوا أشياء كثيرة كأنها عجائب هذا الزمن.

لا تخف على الانسان من نضوب البترول. ففي الطبيعة قوات أعظم جداً من البترول. فيمكن الإنسان أن يعتقلها ويستخدمها. ما أغنى عالمنا بحرارة الشمس وما أغناه بقوة الجاذبية، وكلاهما طاقة عظمى. حرارة الشمس ترفع الماء بخاراً، والجاذبية تسقطه أمطاراً، والأمطار تجري أنهاراً. والانسان يستخرج من مساقط الماء قوات لا حدَّ لها. الحرارة ترفع والجاذبية تحط. وبين الارتفاع والنزول طاقة لا قياس لها، وقوات لا تنفد. فلينضب البترول وليفرغ الفحم. البركة بالجاذبية وحرارة الشمس، فهما يغنيان الإنسان عن كل قوة مهما بدّد وأسرف. ولا نغفل عن قوة الرياح، وقد استعملها الانسان منذ القديم في مطاحن الهواء، ويمكنه أن يستعملها بقدر عظيم في استنباط الطاقة.

وهذه الرياح هي أيضاً طاقة وليدة حرارة الشمس وقوة الجاذبية. هبوط الحرارة عند القطبين يجعل الهواء هناك بارداً ثقيلاً، وارتفاعها عند خط الاستواء يجعله سخناً وخفيفاً «متمدداً» والثقيل يهجم على الخفيف على سطح الأرض. والخفيف يرتفع ويجري فوق الثقيل الى الوراء لكي يحل محله. وهكذا الحرارة والبرودة يأخذان الهواء ويردانه. بين القطبين وخط الاستواء ويحدث من جراء ذلك تياران رئيسيان من الرياح، الواحد من القطب إلى خط الاستواء، والآخر عكسه من فوقه. ومن هذين التيارين تتفرّع الرياح الأخرى المختلفة، فللانسان من تيارات الرياح حركة عظيمة يستطيع أن يستخدمها.

وهذه الرياح تهيج البحار وتحدث الأمواج. وهذه حركة أخرى عظيمة يستطيع الإنسان أن يعتقلها ويستخدمها.

وهناك حركة الأمواج بسبب المدّ والجزر، وهي حركة عظيمة أيضاً. وقد استخدمها الانسان في بعض الأحوال ويمكنه أن يستخدمها في محلات كثيرة ملائمة.

لم نغفل عن الطاقة الذرية، فقد أصبحت في قبضة الإنسان، وبعد بضع سنين تكون في خدمته ان شاء الله. ولكن فيما تقدم كفاية من الدلالة على أن في قوات الطبيعة غنى للإنسان عن الطاقة الذرية سواء قبض عليها أو لم يقبض.

لا يفتقر الانسان الى الطاقة — لا إلى طاقة البترول ولا الى طاقة الفحم. فقوات الطبيعة موفورة له. وهي تحت تصرّفه. الإنسان لا يحتاج إلى شيء من بركات الطبيعة. وإنما يحتاج الى شيء واحد من بركات الله — وهو الضمير.

الحرية والعبودية

التقت ذات يوم العبودية الشيخة بالحرية الطفلة . فابتسمت العبودية تحت جبهة كالحة وعينين مزمهرّتين ، وقطّبت الحرية على محيا وضاح . وأمسكت تلك بيمين هذه فنفرت الحرية قائلة : — دعيني ما شأنك بي ؟

فقالت العبودية : إني أحرسك من أي شرّ

فقالت الحرّية :— زه . زه . أحارستي أنت أم آسرتي ؟ إني أريد القمر وأنت تمنعينني عنه أو تمنعينه عني

فقهقهت العبودية وقالت.. ويحك أأنا أمنعه عنك أم عجزك يمنعهُ ؟ أريدي ما تستطيعينه إن كان يفيدك

— أريد أن أداعب هذا الحمل في الزرع

— لا أسمح لك ، لأن في المزارع ثعباناً يلدغك فتموتين

— أوَلا يلدغ الثعبان الحمل

— الحمل يعرف الثعبان فيهرب منه . وأما أنت فلا تعرفينه . وقد تحسبينه ألعوبة وتقبضين عليه ليرتد عليك ويلدغك

وقحمت الحرية الطفلة الى المرجة بين الزرع فما لبثت أن خمشتها الأشواك . فارتدّت والدم ينزف من ساقها . وأُخذت إلى البيت . وضمدت وعُصبت ساقها .

ثمّ انتابتها حمى . وأمر الطبيب أن تعطى دواء . فأبته وولولت ونفرت . فانبرت العبودية تنصح لها أن لابدّ عن أن تجرع الدواء وإلاّ ، فتموت . فنفرت ولعنت العبودية والطبيب والناس كلهم لأنهم يضيقون عليها الخناق . وأخيراً قبضت العبودية عليها وجرّعتها الدواء رغم أنفها . فسخطت وقالت : لعنة الله عليك . ما الذي جاء بك لكي تقيّديني هكذا ، ثمّ تقولين إنك حارسة لي ؟. ما إسمك ؟

— إسمي « رمز الاستعباد » — تبّاً لهذا الإسم الشنيع ولعنة الله على هذا الجسم الفظيع . من أين جئت أيها الرمز المريع

— جئت معك من حيث جئت أيها الحرّ يا رمز الحرية

— تبًّا لك . لم أردك ، ولم أصطحبك

— لا تستغني عني . إني الى جنبك أينما كنت

— استغني عنك، إني حرّ

— لستَ حرًّا . لقد جئت الى الوجود رغم أنفك . لو خُيِّرت هل كنت تأتي ؟

— بالطبع آتي . ولِمَ لا ؟

— وبالطبع أنا آتي معك . إني موجود قبل أن توجد أنت . نحن توأمان

— ولكني لا أرى لي حاجة بك . ولا وظيفة لك معي

— لي وظيفة أهم من وظيفتك . أنت تخطيء وأنا أصحح خطاءك . أنت تتهوّر وأنا أتفادى تهوّرك. وأنت تشرد وأنا أعدل طريقك. أنت تضل وأنا أردك إلى الصراط المستقيم

* * *

وأرسل رمز الحرية إلى المدرسة ، فكان تارةً يتمنع ورمز الاستعباد يرغمه، وأخيراً قال إني أكره المعلم لأنه يلزمني أن أحفظ تاريخ فرنسا وجغرافية فرنسا . فمالي أنا وفرنسا . لو كان تاريخ مصر وبابل لربما احتملته

وكان رمز الحرية يذاكر في البيت وإذا راديو الجيران يصخب في أذنيه وأبواق السيارات وعجلاتها تدوّي في دماغه . فخرج إلى الشرفة ونادى : « ياهو، ياجيران » فخرج إليه جارٌ من شرفته : ما الخبر

فأجابه رمز الحرية : ألا أقفلوا الراديو حالاً، لأني أذاكر والصوت يصمّ تفكيري

فأجاب الجار : لا نقفله . نحن أحرار في بيتنا .

فما كان من صاحبنا رمز الحرية إلاّ أن دخل الى مطبخه ، وأتى بصفيحة بترول فارغة ومدقّة الهاون وعاد الى الشرفة ، وجعل يقرع الصفيحة قرعاً عنيفاً . ودوّى القرع في الشارع حتى ملأ بيوت الجيران . فخرج السكان يتساءلون ما الخبر . ولما رأوه جعلوا يتغضبون ويسخطون وينتهرونه لكي يكف عن القرع فقال : إني حرّ في بيتي .

ثمَّ جاءه رمز الاستعباد وجرّه إلى غرفته قائلاً : ما هذا الفعل الجنوني الشنيع ؟ قال أما أنا حرٌّ في منزلي كما هم أحرار في منازلهم . هذه صفيحتي تضج كما أن الراديو عندهم يصخب

ثمَّ ملأ الصفيحة ماء وجعل يرش الماء على العربات المارّة في الشارع . فصعد إليه بعض الحوذية . فأوصد بابه دونهم. فمضوا ثمَّ عادوا إليه ومعهم بعض الشرطة ليأخذوه الى دار الشحنة . فتمنع . ولكن قوّته دون قوة الحكومة . وساقوه الى أمام المأمور

أو بالأحرى الآمر . واستجوبه هذا . فكانت أجوبته أنه فعل فعلته لكي يحرّم المركبات أن تمرّ من تحت داره . لأنه لا يطيق دويها المزعج وزميرها المفزع . فقال له المأمور . « الشارع ملك الجمهور . والناس أحرار أن يمروا فيه كما يشاؤون . فإن كان دويّ المركبات يزعجك فانقل دارك الى حيث لا مركبات »

ثم استدعاه القضاء الى محكمة المخالفات . وهناك لم ينكر أنه كان يرش الماء من شرفته على المركبات . وذكر السبب . فلم يبالِ القاضي بأسبابه وحكم عليه بغرامة ٢٥ قرشاً ، فاعترض وماحك . فضاعف القاضي الغرامة . وندّد بالمحكمة فزاد القاضي الغرامة أضعافاً

وأخيراً جرّهُ رمز الإستعباد إلى خارج المحكمة قائلاً له: صمتاً وإلاّ حكمت المحكمة بالسجن .

فقال رمز الحرية : هذا ظلم يا ناس . أما أنا حر في بيتي وأن أزجر من يزعجني ؟

فقال رمز الاستعباد : لا . القانون يقيد حريتك

— تبًّا لهذا القانون الذي يقيد الحريات ويسمح لأناس أن يزعجوا آخرين

— القانون لكل إنسان ولكي يحمي كل إنسان . والشارع لكل الناس . فليس لك أن تمنع أحداً من المرور فيه .

— ولكن ليس لمن يمرّ في الشارع أن يزعج السكان .

— ارفع ظلامتك الى الحكومة .

— الحكومة عالمة بازعاج المركبات لسكان الشارع . فلماذا لا تمنع هذا الازعاج ؟

— الحكومة لا يمكنها أن تفعل غير ما هي فاعلة . فإذا كنت لا تطيق ضوضاء الشارع فانقل دارك الى الصحراء حيث لا ضوضاء . هذه سنة الاجتماع . لا حرية إلاّ بإزائها عبودية . فان لم تعجبك هذه السنة فاخرج من هذا المجتمع .

وبئس هذا المجتمع الذي يزعج أهلهُ أليست لك حيلة فيه ؟ أين سلطانك يأمر الناس أن يكفوا عن الضجيج والقرقعة . ألا تتأمّر إلاّ عليّ وأنا الساكن الهادىء . لماذا أيها المستبدون لا تستنبطون اجتماعاً بلا ازعاج

— لا وسيلة لاجتماع بلا ازعاج إلاّ إذا كان أهله حجارة صُمّ لا تتحرك . ما دام في الوجود أجسام تتحرك فلا محيص من الاصطدام . امنع المركبات ان تمرّ في الشارع وامنع السابلة أن تسير في الطريق تقف الحركة ويصبح المجتمع جماداً وأنت تصبح فيه حصاة . هناك طريقة واحدة لتخفيف الضوضاء عن دماغك وهي أن تفرش مصلحة التنظيم بطن الشارع ببساط من الكوتشوك ، أو ان تحدّد مواعيد معينة لاستعمال الراديو ومرور المركبات في حين لا تكون أنت مذاكراً ولا نائماً . واذا رأيت ان لا بدّ من ترتيب الأوقات

للاعمال ولكل حركة في المجتمع أصبح الناس كالآلات لا يعملون الأحيث يسمح لهم نظامك أن يعملوا ، ويلهون حيث يسمح لهم أن يلهوا ، وينامون حين يسمح لهم أن يناموا ، فكأنهم عبيد لإرادتك .. والحقيقة أن الناس في هذا العصر مقيدون بأنظمة تجعلهم بلا حرية كالجنود . المجتمع حركة صاخبة يجب أن تسير معه في صخبه وضوضائه وان تقنع بالنعيم القليل الذي لك فيه وبزهيد مسراته ويسير الراحة فيه .

***

ثم جاء شرطيّ يدعوه الى دار التجنيد (القرعة) فقال له رمز الاستعباد : أجل يجب أن تُجنَّد لكي تدافع عن الدولة إذا وقعت تحت خطر حرب مع دولة أخرى غازية بلادك

— زه . زه . لا أريد أن أحارب . لا أريد أن أقتل أحداً لأني لا أريد أن يقتلني أحد. لقد سُبكت الآية الذهبية في دماغي : « لا تفعل بالناس ما لا تريد أن يفعلوه بك » هذه آية الحق والعدالة والصواب . وبالحرص على هذه الآية يستتب السلام على الأرض .

— إذا لم تحارب وتقتل خصمك يحاربك خصمك ويقتلك. يجب أن تَقتِل قبل أن تُقتَل

— تبًّا لك من ناصح شرير . ليس لي خصم أخاف أن يقتلني . انما أنت تخلق لي خصماً الآن .

— ليس لك خصم . ولكن لأمتك خصوم وأعداء . والأمة لا يمكنها أن تتقي شر الاعداء الا بالاستعداد لمحاربتهم . ولذلك تجند الحكومة جنوداً وتسلحهم . وأنت واحد من الأمة فلا بدَّ أن تتجند لكي تحارب إذا شبت الحرب .

— لا أتجند ولا أعرض نفسي للقتل

— إذا تجنبت أن يقتلك العدو قتلتك حكومة أمتك لأنها تحسب تخاذلك أو فرارك من الجندية خيانة عظمى تستوجب الموت

— تبًّا لها من أمة شريرة قاتلة . لماذا تريد أمتي أن تقاتل ؟

— لأنَّ لها عدوًّا يريد أن يغزوها ويستعبدها، فتجند شبابها لكي يدافعوا عنها

— ولكن لماذا هذا العدو يريد أن يغزو بلادي لكي يستعبدها . ألا يؤمن بالآية الذهبية

— يؤمن بها . ولكنه يظن أن أمتنا عاجزة عن أن تدفعه عنها فيحاول أن يغزو بلادنا ويملكها وثمَّ يستعبدنا . فإذا لم نستعد لمقابلته بقوَّة أقوى من قوته كان هو الرابح ونحن الخاسرون . لذلك نحن المؤمنون بالآية الذهبية يجب أن نفعل بغيرنا ما يريد غيرنا أن يفعله بنا . فآيتك الذهبية ماشية على الجنبين في كلا الحالين . حاربت أو لم تحارب .

— ولكن لماذا هذا العدو معادينا ويريد أن يملك بلادنا ويستعبدنا ؟ ألا يعرف الآية الذهبية

— يعرفها جيداً . ولكن إذا كان يعتقد أننا لا نقدر أن نفعل به ما يريد أن يفعله بنا فلا يبالي بالآية الذهبية ، لذلك يجب أن نضرب بالآية الذهبية عرض الحائط ، قم تجند .

— عجباً . ألا يفهم هذا العدو العدل والحق ؟

— يفهمهما جيداً . ولكنه يؤثر الغنيمة على الحق والعدل . فيذبح العدل والحق لكي يأكل لحمهما وينتعل جلديهما ويكتسي صوفهما

— عجباً . عجباً كيف يفعل هذا ؟ أما هو انسان ؟

— هذا هو الانسان يا عزيزي . إنسانٌ ضارٍ . لا يزال حيواناً في طبعه . وما كان تفوّقه على ابن عمه الحيوان بالذكاء إلّا ليزيده الذكاء ضراوة

— عجباً . لماذا لا يزال حيواناً بطبعه الضاري وقد ارتقى جدًّا عن الحيوان ؟

— لأنه لا يزال ينازع أخاه الإنسان الرزق والبقاء

— الرزق ؟ الرزق في هذا الجرم الأرضي وفرٌ جدًّا . يكفي عشرة أضعاف سكانه . إنّ الكرة الأرضية تسع عشرة أضعاف سكانها الحاليين . فيها الآن ٢٥٠٠ الف مليون نسمة وهي تسع ٢٥٠٠٠ الف مليون . وفيها رزق لهذا العدد ولأكثر منه . ألقِ نظرة على الخارطة تجد أفريقيا لا يزال سكانها لا يزيدون على مئة مليون أو ١٥٠ مليوناً وأراضيها يمكن أن تموّن عشرة أضعاف هذا العدد اذا استعمرت ، تجد في أوستراليا سبعة ملايين وهي تسع وتغذي سبع مئة مليون ، وفي نيوزيلاندا مليون ونصف وهي تسع وتغذي ١٥٠ مليوناً . قس على هذه أميركا الجنوبية والشمالية . وسيبيريا . وإذا شئت فالاسكا والقطبين وبلاد الاسكيمو وغيرها . كلها تصلح للعمران بفضل العلم الحديث الذي يوفر الدفء في بلاد الزمهرير والبرودة في بلاد الهجير. وحيث لا حيوان فهناك حيتان وكلها تنفع الانسان. العلم الذي يستغلّ البرّ ويزرع الصخر ويجني الرزق من الهواء يزرع البحر أيضاً ويحصده . والرزق من خضرة وفاكهة وحَبّ وغلة ولحم وطير وسمك لا يحتاج من عناصر الطبيعة إلا إلى أربعة : أوكسيجن وهيدروجن وكربون ونيتروجن وهي موجودة في الهواء والماء. وبعض الأملاح موجودة في التراب ، والعلم يستطيع أن يصنع من هذه المواد الإنسان والحيوان والنبات . العلم يستطيع أن يخلق بشراً من جبل المقطم أو من جبل لبنان . يمكن أن يحوّل القارات الخمس كلها إلى بشر . إذا كان هذا الانسان الضاري يثوب إلى رشده ويستخدم قواه الجسدية والعقلية لتحصيل الرزق . يحصل رزقه وافراً بلا عناء ولا شقاء . فلماذا هذا الإقتتال الذي يفتك بالأجيال ويعذب الرجال والنساء والأطفال .

فقال رمز الاستعباد : — هذا هو الإنسان الأناني يا عزيزي . يريد الهناء بلا عناء

والبقاء بلا شقاء ، يختطف رغيفه من فم غيره . والرغيف لا يأتي الى الوجود إلاّ إذا تعب الواحد بتحصيله مهما كان التعب قليلاً . ولكن في الناس من يريد أن يأكل رغيفاً من غير أن يتعب، فيختلس رغيف غيره . والناس ناهب ينعم ومنهوب يشقى . وكذلك الأمم : أمة تكدح ، وأخرى تتمتع على حساب كدح غيرها . وهكذا أصبح العالم أمماً مستعمرة وأمماً تشقى في اتباع شهوات غيرها — هذا النزاع هو الحرب التي تريد أن تفر منها

فقال رمز الحرية : لو اقتصر الأمر على ما تقول ياسيدي المستعبد لقلنا إن سبب الحرب والقتال هو تنازع البقاء فقط ، والحقيقة انه أمة طماعة تريد أن تتمتع على حساب شقاء أمة أخرى . وربما كان لهذا التنازع مبرر في شرع الأنانية وحب الذات . ولكني لا أرى هذا التنازع بين الأمم إلاّ حماقة وغباوة وجنوناً مطبقاً لأن الرزق وفر في الدنيا يكفي الطامع والقانع ولا يحتاج إلاّ لقليل عناء لكي يحصلاه . ويلوح لي أن هذا الإنسان قد جن ويحاول أن ينتحر . وعلى الرغم من وفرة الرزق في الدنيا فلا يزال فريق من الناس يشكون الجوع والفاقة . لا يشحذون القرش فقط بل يشحذون العمل أيضاً . والحاجة إلى العمل أصبحت شديدة ومع ذلك فملايين من العمال عاطلون . فلماذا ؟؟؟ أليس لأن هذا الإنسان قد اشتدّ به الطمع الى أن حرم أخاه الإنسان حق العمل لأنّ ما يطمع به من الكسب لم يعد يأتيه من عمل العامل فأوصد العمل في وجه العامل . والذي أراهُ أن سبب هذا العسف هو أن النظام الإقتصادي المالي أرعن أهوج لم يعد صالحاً للحياة الاجتماعية الحالية البتة . فالعملات صارت صعبة أي تتعذر مقايضتها بين أمة وأمة . وسُبُل السلع والمنتجات مقفلة هنا وهناك . والحركة التجارية بالإجمال مشلولة ، بالتالي انشلت الصناعة معها لما بين الحركتين من قرابة . والعالم الذي صار في عصر العلم والاختراع جديراً بالراحة والهناء أصبح يعاني فاقةً وشقاءً . أليس عجيباً أن يكون في هذا العصر أناس يجوعون ويشقون والدنيا بألف خير . فأنا لا أرى هذا الانسان الذي يعدونه فوق الحيوان الأعجم عقلاً وذكاءً إلاّ حيواناً مجنوناً . ينتحر بلا سبب يوجب الانتحار . فأنا لا أريد أن أنتحر . لا أريد أن أحارب . لا أريد أن أتجند . عني يا هذا

فقهقه رمز الاستعباد وقال : أجل كل كلامك حق وصواب . ولكنك أنت الآن في عالم كل أناسه مجانين . فإن لم تجن معهم قتلوك .

— لا بأس. الحياة في عالم كهذا شرٌّ من الهلاك . والموت فيه خيرٌ من حياة الجنون . الى الملتقى.

نقولا الحداد

قصة

ضريح

شهيدة الامانة

كانت الساعة الواحدة بعد الظهر حين استظلَّ الصياد وحماره القبرصي الصغير المسمى صفداً وكلبه مرجان وكلبته زمردة بجماعة من الشجر والأجم على مقربة من البحيرة . وألقى عند جزع الشجرة اثنتي عشر بطة وهي ما اصطاده منذ الصباح . ثم قدم العلف لحماره وكلبيه ثم لنفسه .

وبعد قيلولته قال للكلبة . احرسي الصيد يا زمردة وحاذري أن يقترب منه أحد . ولا تدعي الحمار صفداً يبتعد كثيراً في المرعى أو الهشيم . أنا ومرجان عائدان الى الصيد في جولة ثانية . هل فهمت ؟

فبصبصت زمردة بذيلها ولوت عنقها ونبحت نبحاً لطيفاً فعلم الصياد انها فهمت أمره وهي والكلب مرجان من نوع كلاب الصيد الضخمة الفخمة النشيطة . وهما يكادان يصارعان الأسد قوة وضراوة حين يغضبان في موضع الغضب . وينافسان الحمَل وداعة في حال الرضى

وربضت زمردة الى جنب البطات تهضم طعامها وتنظر الى الحمار يقضم علفه .

وبعد حين لفت نظرها صوتٌ ، فرأت ابن آوى على مسافة عشرين ذراعاً يقول لها : يا ابنة العم اني جائع منذ أمس الأمس وعندك كثيرٌ من الصيد ، فجودي عليَّ ببطة .

فصاحت به : أقلع عينيك وأفقع عقدة حنجرتك إذا دنوت مني .

فقال : هل البطات معدودات عليك فتخافين أن يكتشف سيدك واحدة ناقصة .

فقالت : صمتاً يا لص . معدودات أو غير معدودات ، أفلا أعلم أنا انها نقصت واحدة إذا أعطيتكها ؟

— إذا كان صاحبك لا يعلم فمن يعاقبك ؟

— اخرس . لا يعاقبني أحد غير ضميري . صاحبي أمَّنني على صيده لأنه يعلم أني أمينة . والأمانة خلقة فيَّ . فلا أستطيع أن أخون .

قال : لو جعت ألا تأكلين بطة من هذه البطات ؟

قالت : لن آكل ولو مت جوعاً . آكل متى أطعمني صاحبي . قال حقاً إنك مغفلة . إذا وقع تحت يد صاحبك وزنات من الذهب بعدد هذه البطات أفلا يختلسها ؟

قالت : لا أعتقد أنه يفعل . لأنه تعلم الأمانة مني .

قال : ولكن هناك ألوفاً من البشر خونة يأكلون بعضهم بعضاً ولا يعفون عن الاختلاس والخيانة إلاّ لسبب .

قالت — لأنهم لم يتعلموا الأمانة من الكلاب ولا ارتقوا بعد الى درجة الكلاب في الأخلاق . ما زالوا بشراً منحطين أخلاقاً في درجة الثعالب وبنات آوى .

— حقاً ويقيناً أنك غبية جداً . أيكون منحطاً هذا الانسان الذي استطاع بعلمه وذكائه أن يصطاد هذه البطات عن بعد عدة أذرع بقذائف ومفرقعات ؟ أيكون منحطاً هذا الانسان الذي غاص البحار ومخر الصحاري والقفار وركب الهواء وسبح في الفضاء واعتقل الأصوات والأضواء و ...

كفى كفى يا خدّاع . أجل فعل كل هذه ، ولكنه لا يزال منحط الضمير حقير النفس ولا بدّ من مرور عشرة آلاف سنة عليه حتى يصير أميناً مثلي . وقد مرّ عليه ألف ألف سنة منذ كان خبيثاً مثلك .

— ومنذ كم سنة كان انسانك مثل هذا الحمار ؟

— الى الآن لم يصر مثل هذا الحمار في الوداعة والمسالمة والصبر .

— إذاً أنتِ يا جاهلة عبدة لانسان أحط من الكلب اخلاقاً ألوف السنين ودون الحمار وداعة . كان يجب أن تكوني أنت السيدة لأنكِ أشرف خلقاً وهو العبد لأنه أحط طبعاً

— لست عبدةً للانسان بل أنا صديقة له وصاحبته . وكلانا نتبادل الخدم . أنا صاحبة البيت وهو ضيفي . وإذا لم يكن مخلصاً وأميناً لأخيه الانسان فهو لي أخلص الخلصاء لقد تعلم الاخلاص مني . نحن معشر الكلاب أساتذة البشر في الأمانة والاخلاص والصدق.

فقال : أليس عجيباً أن هذا الانسان الذي « شطح » عقله هذه « الشطحة » العجيبة حتى انه تبوّأ عرش الطبيعة وتسلّط على عناصرها وقبض على نواميسها واعتقل قواها يبلغ القمّة ذكاء وينحط إلى الدرك أخلاقاً . أليس هذا سرّاً غامضاً ؟

فقالت زمردة : حقاً إنه لسرّ غامض . ولكن يلوح لي أن الانسان كلما ارتقى عقلاً وذكاء نبغ في المكر والدهاء والدّس . وهذه أدوات الشر والفساد ، فما أنتَ والثعلب أمكر الماكرين وبالتالي شر الشريرين .

وإذا بالثعلب مطلّ من وراء جذع شجرة فقال له ابن آوى : تعال اسمع هذيان هذه المغفّلة

قال الثعلب سمعت الحديث من أوله . فهي غبية مخدوعة بهذا الانسان الذي يأكل لحم البطات ويرمي لها العظام . ونحن نستطيع أن نفعل مثله نأكل اللحم ونرمي لها العظم .

فنشطت زمردة ونزقت وسخطت قائلةً : والله أقطُّ عنقيكما بمثل لمح البرق كما تقط السكين القلم . وهجمت عليهما . فجزعا وهرعا وهي تسمع الثعلب يقول ، سنبيِّت لها مكيدةً تدق عنقها ونظفر بالبطات . وعادت بعد أن تواريا .

وبعد برهة عاد ابن آوى والثعلب وخاطباها من بعيد . فقال الثعلب : سمعاً يا هذه . نصيحة لوجه الله . عجلي بالرحيل الى شاطىء البحيرة لأن النار لعبت بطرف هذه الغابة ، والريح تهب الى هذه الناحية وستشتعل الغابة كلها ويلتهب هذا الهشيم الذي حولك . فارحلي عاجلاً ونحن نعاونك لنقل البطات .

فصاحت : لا تتقدَّما وإلاَّ قضمت أوتار عنقيكما .

فقال الثعلب : أهذا جزاء نصيحتنا يا قبيحة . النار تضرب بأوراق الشجر والريح تسفيها الى هذه الجهة .

— نصيحتكما يا خادعين يا خائنين ؟ أهذه هي المكيدة التي بيَّتماها لي يا منافقين ؟ أتظنان أني اصدقكما ؟ حتى الصدق منكما لا أصدقه .

— إذن فابقي هنا إلى أن يكذب صدقنا أو يصدق كذبنا . وثمَّ تندمين على تكذيبنا حين تلعب النار بجلدك ثم بلحمك . كن شاهداً أيها الحمار على كذبنا وصدقها . وان كنت أعقل منها تقبل النصيحة لنفسك .

قال الحمار : لا أقبل النصيحة إلاَّ بالبرهان حين أشاهد النيران مشاهدة العيان .

— إذن فابقَ مثلها في ريبتك إلى أن لا تعود تنفعك توبتك . فما أنت أقل غباوة منها . أفما أنت حمار ؟ وهل يمكن وصفك بغير حمار ؟ وهل من حيوان «أحمر» من الحمار ؟

وما مضت بضع دقائق بعد ان مضى ابن آوى والثعلب حتى سمعت الكلبة لعلعة اللهيب وراع الحمار قرقعة النار . فدهشا وشدها ، وجعلت زمردة تثب حول البطات هنا وهناك والحمار يتعفص وهو يصرخ لها : بربك اقضمي رسني أو حلي رباطه عن ساق الشجرة أو عن رقبتي . إني أفزع من لعلعة اللهيب .

فقالت : ما هذه النار إلاَّ فعلة ذينك الشريرين ابن آوى والثعلب . لعنة الله عليهما . وما عتمت ان شدَّت طرف الرسن فانحلت عقدته وصار الحمار حرّاً فقال لها : هلمي بنا . اللهيب سترسل الى هنا .

أما هي فصارت تحوم حول البطات وتثب هنا وهناك . وكانت ريح صرصر عاتية

تسفي اللهيب الى ناحيتهـا . واشتدت الريح وصار اللهيب يندلع من فننٍ الى فننٍ ، كأنه البرق الخاطف . كان وراءها فإذا هو يلعلع قدامها .

أما الحمار فأسرع خارجاً من الغابة الى الغيط والتفت عسى أن يرى زمردة خارجة وراءه ظافرة بسلامتها . ولـكنه لم يَرَها ولا سمع لها نباحاً فظنها تخرج من ناحية أخرى من الغابة . ولـكنه لم يَرَ إلاَّ ابن آوى يثب هنا وهناك في الغيط أمام الغابة يعوي . فلما تقابلا قال ابن آوى ، أما رأيت ابن عمي الثعلب ؟

— لا . لعله بقي في الغابة فأكلته النيران .

— لا تخف على هذا اللئيم فقد كان أسرع من الريح في الخروج . ولـكني أظنه وقد انطفأت النار وخمدت حرارتها عاد الى البطات ليأكلها مطبوخة . أين زمردتك ؟

— والله لا أدري لعلها خرجت من الغابة الى ناحية أخرى ثم رجعت بعد انطفـاء الحريق لـكي تحمي البطات من شركما .

— انها مفتونة بالأمانة والولاء فلابدَّ انها راحت ضحيتهما . فماذا صارت قيمة ولائها ووفائها ؟ . مسكينة بنت العم . كم قاست وهي تحترق .

فقال الحمار — لا أظنها تألمت . أظنها ماتت اختناقاً قبل أن تحترق لأن اللهيب استنفد كل اوكسجين الهواء فلم تعد تستطيع التنفس أو تتنفس هواء بلا اوكسجين .

— لله درك من حمار فيلسوف كيماوي .

فقال الحمار : بالله تقول لي أليست هذه الحريقة فعلتكما انتقاماً من زمردة ؟

— حقـاً انك لحمار تارةً وفيلسوفاً تارةً أخرى . أنى لنا النار حتى نضرم الهشيم والأشجار

— إذن كيف التهبت هذه الغابة ؟

— كان صياد يشوي صيده في طرف الغابة الآخر . فلما شوى وأكل ومضى سفت الريح بقية الجمر الذي تركه . فوقع الجمر على العشب اليابس فالتهمه . وثمت اندلع اللهيب في الغابة . وكنا نحن نراقبه عسى أن يكون لنا نصيب من صيده . فخاب مؤملنا ولم يبق لنا عشم الاَّ بصيدكم . اني متريث الى أن تبرد حرارة الحريقة فأقصد الى حيث كنتم لعلي أصيب وليمة طيبة .

— وإذا كانت زمردة قد رجعت الى هناك تنشب أنيابها في « زورك » يا طاغي

— إن زمردة أصبحت فحمة . فقد قدمها القضاء والقدر محرقة على مذبح أمانتها . والأمانة لم تنتفع شيئاً من هذه الضحية . هل أنت شريكها في عقيدة هذه الأمانة .

— طبعاً . اني أميل لخادمي الانسان لأني صاحبه ونحن نتبادل المنفعة

. لمـا رأى صيادنا من بعيد دخان الحريقة يغمر تلك الناحية جزع إشـفاقاً على زمردة

والحمار. فقال لكلبه: هلمَّ يا مرجان. العودة إلى حيث تركنا زوجتك الصالحة.

وكأنَّ مرجان قد أدرك أن رزءًا ينتظره. فأسرع أمام الصياد وهو ينبح ويقفز بين الجحر والصياد وراءه، الى أن بلغا إلى البقعة التى كانت مستودعاً لحبيبتهما. فإذا رأيا؟ وثب مرجان على زمردة فاذا هي جيفة «مفحّمة» ملقاة على البطات. وجعل يبكي كالطفل أما الصياد فوقف ذاهلاً ودموعه تتساقط كالمطر. ولم يسعه إلاّ أن يشترك مع مرجان بالعويل.

ثمَّ جثا وألقى كفيه على جذع الشجرة ورأسه بين يديه. ثمَّ صلَّى. وفعل مرجان مثله «سبحانك اللهمَّ جعلت من الحيوان الأعجم قدوة لنا في الأمانة والوفاء. ولكننا لا نتعلم هذه الفضائل ما لم تمنحنا أنت من لدنك روح الفضيلة، حقّاً يا ألله لا يزال البشر حيوانات منحطة في الأخلاق فرقّهم إلى أخلاق الكلاب. فعسى أن تقل شرورهم وتكثر فضائلهم. أنت السميع المجيب

ثمَّ وقف وارتدَّ قليلاً: فارتدَّ مرجان وهو ينظر إليه ليرى ماذا عساه أن يفعل. فجعل يضع صيده القديم مع صيده الجديد في كيسه. فما كان من مرجان إلاّ أن وثب عليه وجعل يخطف البطات المحترقة. ويقذفها بعيداً. ففهم الصياد أن مرجان لم يعد يطيق رؤية البطات التي كانت زمردة شهيدة في سبيل حمايتها

فرماها الصياد. ثمَّ حفر حفرة ووضع جثة زمردة فيها لكي يدفنها. ولكن مرجان انتشلها من الحفرة ونبح نباحاً شديداً كأنه يستنكر أن يتركها دفينة هناك

— أين الحمار يا مرجان. الحمار الحمار

فأسرع مرجان الى خارج الغابة وهو ينبح وبعد قليل عاد يسوق الحمار أمامه. فوضع الصياد جيفة زمردة على ظهر الحمار. ومضى الى داره

وفي حديقة الدار حفر قبراً لزمردة ودفنها فيه ووضع عليه زهوراً. وأما مرجان فمكث أمام القبر ليلاً ونهاراً. وكان أحياناً يقطف الزهور من الحديقة ويضعها على القبر ولم يكن مرجان ليقبل طعاماً. فكان الصياد يضع له الطعام على القبر فيفسد ولا يمسه.

مضى عشرون يوماً على مرجان صائماً ملازماً قبر زمردة إلى أن مات

فدفنه الصياد إلى جنب زوجته وكتب على ضريحه في لوح من المرمر

« هنا ضريح شهيدي الأمانة والوفاء ».

فأصبح الضريح مزاراً لأصدقاء الصياد الذين قرأوا هذه القصة. فهل اعتبروا بهذه العبرة.

العزلة في رأس الجبل

محكمة العالم

مستعمرة المعتزل

قال الراوي : —

وكنت ممتطياً بغلاً من بغال الدير . وبغال الأديرة سمينة شديدة قوية اعتادت سلوك الوعور الجبلية . وكان الطريق المطروق ما مهّدته حوافر الدواب فقط ، ولا يسع بغلين يسيران معاً فيه . وكأنه سُلَّمٌ مختلفة الدرجات ارتفاعاً واتساعاً وانحداراً إلى جانب فالى آخر، أو كأنّهُ خطٌّ لولبي متعرج لا ترى بدايتهُ بعد ان تبتعد عنها ولا نهايته قبل أن تصل اليها . وفي بعض الأحيان كنت أرى في ذلك المنحدر الجبلي بعض مسالك طبيعية كأنها فروع للطريق حتى كنت أخاف الضلال فيها . على أني تركت للبغل حق الارشاد فيها لأنه ألِف المسير في ذلك الطريق الوعر ، فأطلقت له الحبل على الغارب . وقلت « إني في قيادتك يا مرشدي » . وكنت في أول المرحلة أخاف أن تزلَّ أقدام البغل ، فيتهوَّر بي متدحرجين في تلك المنحدرات إلى بطن الوادي العميق . ولكني ما لبثت أن اطمأننت إذ رأيت البغل لا ينقل حافراً إلاَّ وقد أقرَّ الحافر الآخر في موطن أمين . ووالله لو كنت أسير ماشياً في ذلك الوعر المتغير المصاعد لزلت قدماي كل خطوةٍ بعد أخرى، وما أمنت الوقوع إلى أسفل والترضض ، وربما قُتلت ، وقد لا يدري بجيفتي أحد سوى الضواري والكواسر . ولكن ذلك البغل كان يعرف كيف يضع قدمه فلا يزلّ .

وكنت أنظر الى المقام الذي أقصد إليه فأراه تارةً على مقربة ، وافتقده تارةً أخرى فاذا هو غائب عن بصري . وأحياناً كنت أظنني قد قاربت الوصول اليه فإذا بي أعد الدقائق بالعشرات وما زلت غير مدركه .

وكان رئيس الدير قد أنبأني أن مكاري الدير عائد من معتَزَل المتنسك ، فإذا التقيت به ورغبتُ اليه أن يصطحبني . فما عليَّ إلا أن أبلغه أمرهُ بذلك فيترك بغله ويعود البغل وحده ، وهو يسايرني الى المعتزَل.

بعد نحو ساعة ونصف سمعتُ نباح كلاب يشعرني بأنها خطرة . فعلمت أني قربت الى

مستعمرة المتنسك، ولكني لما أرَ له شكلاً بعد . وكنت كلما تصاعدت اشتدَّ النباح حتى خفت أن تنقض عليَّ تلك الكلاب الضارية فتمزقني شرَّ ممزَّق . وأخيراً : —

وأخيراً أقبلت على جدار طويل مرتفع غير مستقيم ورأيت ثلاثة كلاب تطل كأنها أسود وقد هاجها منظري ، واشتدَّ نباحها . وكادت تثب من الجدار عن علو قامتين أو أكثر .. وإذ بشخص جبَّار المظهر مشمَّر الردنين قد أطلَّ وهو ينتهر الكلاب . فما عتَّمتْ ان صمتتْ إلاَّ بعض نبحات متقطعة . ثم رأيت بوابةً في طرف الجدار الجنوبي قد انفتحت وخرج منها المكاري الذي ظننت أن رئيس الدير قد ذكره لي . ثم أُوصِدت على الأثر . وكان الطريق قد عرض ، فتجاوز بغلهُ بغلي . وصلتَ الى البوَّابة . وهي عريضة شامخة مصنوعة من قضبان من حديد متشابكة عموديًّا وأفقيًّا . ثم ظهر من ورائها الرجل العملاق . وكنت أتوقع أن يعبس بي لما سمعت عن نفوره من الناس ، فإذا ببشاشته الطبيعية تبشرني بحسن القبول . وتفرَّس بي وقال : —

أظنك تجهل قانون المملكة الذي لا يُنقض .

فقلت : لا . بل علمت من سيِّد الدير : وهو أنه لايدخل الى هذا الملكوت العلوي بشر . وإنما زوَّدني السيد بتوصية قد يمكن أن تعطِّل القانون برهة .

ودفعتُ اليه وصية السيدْ من بين قضبان الحديد . وكان الرئيس قد قرأها عليَّ قبلاً ، وهي : « زائر كريم أرجو أن تستضيفوهُ برهةً » .

قرأها ثم نظر فيَّ متفرِّساً وقال : ما هو الزائر الكريم ؟

فقلت بنفسي : « أي الحيوانات أنا حتى يسألني عن نفسي بحرف « ما » لا بحرف « مَن » . وأجبتُ : إني من الانس لا من الجنّ كما ترى .

قال : لم أعرف من بني آدم إنساناً سوى بضعة أفراد عبروا في فضاء التاريخ .

فقلت : ماذا بنو آدم إذن .

قال : هم من أهل الجحيم .

قلت على الفور ، لقد شذذت أنا عن بني آدم .

— إذن من أي سلالة أنت .

فحضرني المنطق السديد في الحال وقلت : إني من سلالة الكلاب لا من سلالة الثعالب

فقال : استدعي أحد كلابي لكي أرى هل يتعرَّفك .

فوجف قلبي فيَّ وقلت لنفسي : إن هذا الناسك المجنون سينتقم مني بكلابه . وأجبت : اذا كانت لا تتعرفني فتكون من بنات آوى لا من أسرة الكلاب الصادقة-

ثم نادى : أبجر . أبجر . أبجر . وفي الحال كان الكلب أبجر بين يديه هائجاً يزمجر كالأسد، فربت على كتفيه قائلاً له : هل ترى بين هذا الحيوان وبينك صلة القربى . فسكت الكلب وجعل يوصوص بذيله ويلحس سلام صاحبه . وقال لي ، مدّ يدك إليه . لا تخف ان كانت بينكما قرابة

فجزعت وقلت بنفسي : « ان سحق أبجر اليسرى تبقَ اليمنى . فلا أكن جباناً . وأجبته : لا أخاف إذا لم تكن أنت من الآدميين يا أبجر . ومددت اليسرى وهو لا يزال يربت على كتف أبجر . فجعل أبجر يلحسها . فرُدّت لي روحي التي كنت أظنها ضائعة في عالم الفناء فقال لا أظن أبجر يخطىء في تعرُّف بني نوعه الأمناء . تفضل ادخل ، مرحباً بك .

وردّ مزلاج البوابة وفتحها قائلاً : لا تترجل عن هذا المخلوق الخدوم . دعه يدخل معك . فان له عندي كرامة الضيف

فدخلتُ ببغلي . ثمّ أوصد البوابة ومشى أمامي إلى أمام الاصطبل حيث ترجلت وأدخل البغل إليه . ثمّ أمسك بيدي يقودني ويقول : إن هذه البوابة لايدخل منها إلاّ الحيوانات الطاهرة القلب . وأنت أول حيوان أجنبي دخل إليها منذ نشأة هذا الملكوت، بشفاعة سيد الدير الذي له كرامة عندي ، لأن هذه البقعة من الجبل ملك الدير . وقد تفضّل الكاهن الورع بأن سمح لي أن أستعمرها إلى أن أفارق جحيم الأرض، فتبقى للدير معمورة جزيلة الغلة

فقلت : نعمّا ذلك السيد التقي الكريم . ونعمّا هذا المستعمر الفضيل .

وتمشيت على مهل أجيل نظري في تلك المستعمرة الفسيحة الوارفة الظلال وقد سحرتني مناظرها فلم أعد أنطق ببنت شفة ، وهو بقي صامتاً لا ينبس بكلمة كأنهُ حيوان ناطق قليل الكلام . لا يتكلم إلاّ مجيباً على سؤال أو خطاب . كذا ظننت . وكان يسايرني حيثما اتجهت من غير أن يوجّه وجهتي إلى ناحية

بقعة ، تحت قمة الجبل المرتفعة كبرج عظيم ، يكاد يتعذر الارتقاء إليها لشدة انحدارها، والبقعة تنحدر انحداراً في زاوية مع الأفق لا تقل عن ثلاثين درجة كما أظن . وقد مُهّدت بشكل مدرّج تتراوح سعة الدرجة فيه بين خمسة وسبعة أمتار وتتعالى بعضها عن بعض نحو متر ، وتكاد تكون مستقيمة الطول إلاّ حيث ناقضت طبيعة الأرض استقامتها . وأما الدرجة السفلى التي تعتبر كأنها صحن الدار فرحيبة، يتراوح عرضها بين ١٥ و ٢٠ متراً وطولها لا يقل عن خمسين متراً . وقد انتهى الجانب الشمالي منها بأبنية من حجارة ضخمة غير منحوتة ولا « مقصّبة » كأنها من أبنية ما قبل التاريخ . وغريبّها ذلك الجدار العالي الذي أشرت إليه آنفاً . وقد ارتفع عن صحن الدار نحو نصف متر للوقاية من الوقوع : وأما

شرقيها بجدار عالٍ ارتفع عليه سور من حديد وأسلاك شائكة وكذلك جنوبيها .

وقد بسقت في هذه الدار أشجار السرو والنسرين والسنديان وغيرها كأنها تظللها بعض التظليل . ورأيت فيها قناة يجري فيها الماء الغزير من منحدرات من ذلك المدرَّج

وارتقيت بسلالم من « جلّ الى جلّ » (والجل هو درجة عريضة من الدرج) وطفت في المدرَّجات من الواحد الى الآخر . وكان الفصل آخر الربيع أو أول الصيف . رأيت الى الجنوب مروجاً خضر وقد بسقت فيها سنابل القمح والشعير في أوائل عهدها . وهناك مرجة للحمص وأخرى للفول . ثم مرجة للبقول على اختلاف أنواعها . ثم الى الشمال بساتين مختلفة الثمار من موز وتفَّاح وكمثرى وتين الخ . ثم في الجلَّين الاعلين كرمة من الدوالي تخمن غلتها بالقناطير .

هذا مجمل مختصر لوصف هذه المستعمرة الأنيقة المنظمة تنظيماً ساحراً : « شغل المعلم لنفسه » . ثم انحدرت من أعلى الدرجات في سلالم أخرى وحينئذٍ كان لساني منعقداً من تأثير ذلك العمل العجيب في نفسي . فلما انتهيت من الطواف انحلت عقدة لساني .

قلت له : إنه لعمل عظيم جداً أن يتحول هذا الوعر الموحش الى جنَّة تجري من تحتها الأنهار . . . انه لعمل شاقٌ جداً . كم استغرق من السنين يا ترى وكم استنفد من جهد ؟

فقال : الى الآن مضت عليه تسع من السنين واستنفد جهد بضعة فعلة مدة سنتين كانوا أعواني في التمهيد وبعض الغرس وبعض البناء . وبعد ذلك كان جهدي وحده في السنين السبع الأخرى الاّ ما ندر إذ كنت استدعي عاملاً أو عاملين لعمل ما لا أستطيعه وحدي .

قلتُ ، هذا عمل جبابرة . فعجيب أن يكون عمل جبار واحد .

قال : إذا ضربت القوة بالوقت كان الحاصل ....

فأتممت العبارة : كان الحاصل ٣ آلاف جبَّار .

والتفتُّ اليه فاذا هو يبتسم وقال : بل ألف جبَّار في عام . ولا تنسَ الجلد والصبر أيضاً

ثم تمشينا نحو الأبنية فرأيت كرسيا من الخشب . ونظرت هنا وهناك . فأدرك أني أبحث عن كرسيٍ آخر . وأسرع الى المنزل الذي هو أحد الأبنية وعاد وبيده كرسيٌ آخر أحسن صنعاً قليلاً وقال : لا بدَّ أنك تعبت . فتفضل اجلس . ثم جلس على الكرسي الأول وبقي لا يتكلَّم . وكنت انتظر أن يسألني من أنا أو عن اسمي ، وماذا أقصد من زيارته . وبقينا نحو دقيقتين ساكتين . فاضطررت أن أستأنف الحديث وقلت :

أتقيم وحدك هنا ؟

فقال : لا . بل معي رفقاء أوداء

فقلت . لا أرى أحداً يطل .

فقال : كيف لا . لقد استقبلك ثلاثة منهم منذ قربت . ثم استدعيت أنجر فاستقبلك لدى البوّابة وتعرّفك .

فضحكت وقلت : أين الآخران ؟

فنادى : ضرغام ضرغام .

فاذا الكلب الثاني ينقضّ من « جل » فوق الأبنية .

ثم نادى : لبؤة لبؤة . فاذا كلبة سمينة مقبلة من ناحية أخرى كالبرق الخاطف . واقتربا اليّ ينبحان نبحاً لطيفاً . وقال : « هلموا حيوا الضيف » وأشار بيده اشارات فهمتها الكلاب . فتقدموا اليّ يلحسون يدي . ثم أمرهم أن يجثموا بعيداً . ففعلوا (استعملت ضمير العاقلين هنا لأنه هو اعتبرهم عقلاء) .

فقلت : نِعمَ الرفقاء الثلاثة . فأين هم البقية ؟

فقال : سأعرفهم بك بعد أن ترتاح . انهم في المراح الآن يعتلفون .

قلت : هل قضيت السنين التسع معهم ؟

— معهم وحدهم . فهم خير الأصدقاء الذين عرفت

— ألم تملّ هذا المعشر الأبكم ؟

— إنه خيرٌ من المعشر الناطق . ألم تملّ أنت معشرك الثرثار ؟

— بعد كم سنة تمل المعشر الواحد ؟

— أملُّ معشراً فأجد آخر

— بعد أيام أو أسابيع أو أشهر . وفي التغيير تفريج للكروب

قال : ومما ذا الكروب ؟

قلت : من تغيير الأصدقاء

فقال : كيف يتغيرون

قلت : أرى الصديق اليوم صادقاً فلا ألبث أن أكتشف أنه كاذب . أرى الصديق اليوم مخلصاً فلا ألبث أن أراه خائناً ...

قال : كفى . خبرت كل هذا . أما أصدقائي هنا فكنت أظنهم كاذبين فإذا بهم يصدقون في ركضهم ونباحهم . وكنت أخاف أن يكونوا خونة . فإذا بهم أمناء في زمجرتهم . لهذا لا أملُّ عشرتهم .

قلت : أغبطك وأحسدك على هذه الجنة الفيحاء التي لا يتطرّق إليها الكذب والخداع والخيانة . ليتك تقبلني عشيراً لك هنا فكنت ترى …

فقاطعني قائلاً : لو كنت من فصيلة أصدقائي هؤلاء لرحبت بصداقتك ..

قلت : لعلك لو خبرتني …

فقال مقاطعاً : خبرت ألوفاً غيرك من ضواري الآدميين فحسبي ما خبرت ومن جرّبت.

قلت : إذن أنت تعتزل هنا تحايداً للأعداء .

فقال : لم أكن عدوّ الأحد وإنما كان الناس أعداءً لصدقي وأمانتي . على أني مت في ملكوتكم القذر : ثم ولدت ثانية في ملكوت السلام والخير . لم أشأ أن أقضي الحياة كلها في جحيم ولا أدري بعدها ماذا يكون من نعيم . فرغبت أن أنشىء نعيمي هنا وأكمل بقية الحياة فيه

فقلت : إذاً ، أنت هارب من ملكوت الإنسان

قال : بل إن ملكوت الإنسان نبذني ، لأنه لا يطيق وجود غريب عنه فيه . تطهّر مني . صفا من كدر شذوذي .

ورفع نظره الى السماء ثم قال : أظن الساعة الحادية عشرة والنصف الآن فكشفت ساعتي . فإذا هي كما قال تقريباً . فقلت . عجيب أن يصدق ظنك في الميقات إذ لم أرك تكشف ساعة

فقال : عندي ساعة الطبيعة . أزاول استفتاءها كل برهة بعد أخرى . فتصدقني الخبر لأنها ليست كساعتك التي فيما أنت تعتمد عليها تتعطل أحياناً فتكذب عليك . الشمس والقمر والنجوم لا تكذب ولا تتعطل . أظنك بعد قليل تشعر بجوع . فاسمح لي أن أعدّ طعامنا البسيط .

ونهض الى المنزل وتجنب أن أتبعه لكي لا أرى ماذا يعد من الطعام وكيف يعدّه . ولكني خشيت أن يحسب هذا فضولاً فقمت أتمشى لكي أرى مناظر الطبيعة من هذا الملكوت الأعزل

تمشيت لدى السور الحجري القائم فوق الجدار العالي فإذا بي أرى الوعر منحدراً أي انحدار . وحاولت أن أتبين الطريق الذي جئت فيه فلم أرَ له إلا آثاراً قليلة بين أشجار السنديان وغيرها . لم أرَ في ذلك الوعر قرية ولا مزرعة سوى الدير الذي رأيته في بقعة أخرى وتحته بعض القرى . فقلت في نفسي : كيف يعيش هذا الرجل في هذه العزلة وحده ؟ لا ريب أنه شاذ عن البشر . رأيت في سفح الجبل تحت مروجاً خضر وقرى كبيرة وصغيرة نماذج للعمران الذي اصطنعه الإنسان اصطناعاً . لو كنت شاعراً لأوحت لي تلك المناظر البديعة قصيدة تزري بشعر المتأخرين والمتقدمين

(في العدد القادم نقاش في هذيان الاقلام . والنفاق المدقّق)

معول الهدم

في طريقي بحي من أحياء القاهرة وقع بصري على معاول الهدم تقوض منزلا كنا نقطنه والشمل مؤتلف ، فجاشت بنفسي هذه الابيات :

يا هادمَ البُنيان تضرب صخره   أوَما شهدتَ طيوفه بالمَدرج (١)؟!
تُهوى بمعولك الجدارَ محطّماً   والمعولُ الهدّام أورى للشجي
برزت له صورُ المكان وأهلِه   تدنو بعهدٍ في الضمير مُوَشَّج
وتفرّقوا بَدَداً ، وغابت أنفسٌ   كانت تعيش بظلّه المتبرّج
هيَّجتَ من ذِكرِ السوالف، فالتقت   تنساقُ بين مذكِّر ومهيِّج
هلاً وقفتَ بنا نودّع برهةً   آثارهم، وشذا الزمان الأبلج (٢)
أبداً يلوذُ المرء في تحنانه   بالذكريات ، وخفض عيشٍ سجسج
ومجالس الأحباب في أسمارهم   أن تنأ عنهم بالترحّل ، تأرج
وصُبابةُ الأيام غِبَّ فواتها   في غابرٍ يمضي ، وشوقٍ مُلهج
نأوي إلى كنف الديار رحيبةً   ونحلُّ عنها بالفراق المزعج
ونحوم حولَ طلولها ورسومها   في لهفة المتحسِّر المتهدّج
نبكي بعادَ الراحلين ، وأنه   ليثيرُ كامنَ ضارمٍ متأجّج

---

(١) المدرج — الطريق المسلك
(٢) الابلج — الوضاح طلق الوجه

ونرى بأعيننا المدائن والقرى   تعفو لغادٍ بعدها ومُعرِّج
واحسرة الأحياء، يورث بعضُهم   بعضاً، ومايبقى شوًى للأحوج(1)!!
ومطامعُ الدنيا تغرّ، ومن يعش   يلقَ الخراب موكَّلاً بالمُنتج
والناس في غدواتهم وروحاتهم   نهبَ الحظوظ تميلُ ميلَ الأهوج
تلك المنازلُ، ما تقوّضَ منزلٌ   إلاَّ بقصةِ طارقٍ أو مُدلج
ولها طوالعُ كالنجوم، فطالعٌ   يُزجي السعود، وطالعٌ لا يزدجي
يادار فيكِ شببتُ أهزُجُ حالماً   وغرُبْتِ بالماضي كأن لم أهزج
نبني العمائرُ مُبدِعينَ طلاءها   ونبينها بالنقش فتنة بهرج
نبني، ومن يدري لعلَّ فتيتها   أشلاء ثاوٍ في الرَّغام مضرّج
تتحلَّل الأشياء من أجرامها   وتغيبُ في ذرِّ الهباء المُرهج(٣)
فمتى أصابت بالتزاوج مورداً   آلت لجسم في الخليقة مُدمج
والدورُ مثل القاطنين، مصيرها   ليدِ الفناء، ومن يعمّرْ يُنهج(٣)
وإذا تأملت الحياة مفكراً   ضلَّت بفكرك عند باب مُرتج!!

القاهرة   عبد السلام رستم

---

(١) شوى اليسير — الهين
(٢) المرهج — المتطاير. وأصل الرهج أثارة الغبار
(٣) أنهج. ينهج — يبلى

نظرات في النفس والحياة

١٩

تتمة نظرات جوتا

نشرنا في العدد السابق جملة من هذه النظرات العميقة . بقيت نظرات حارَّة في غرور الإنسان وارتكابه الأغلاط بسبب هذا الغرور :

(١٣) من أشد أغلاط الشبان حمقاً ظنهم أنهم يفقدون إصالة الرأي وميزة الابتكار إذا اعترفوا بحقيقة اعترف بها الناس قبلهم فيحاولون ابتكار شيء جديد حتى ولو كان مناقضاً للحقيقة ومخالفاً لها .

(١٤) الكفر بالنعمة وإنكار المعروف والجميل المصنوع نوع من العجز والضعف . وما رأيت قط رجلاً قادراً يكفر بالنعمة وينكر الجميل إلاَّ إذا كان في نفسه جانب ضعف خفي .

(١٥) ليست التقوى غاية وإنما هي وسيلة الى الثقافة النفسية . والذين يتخذونها غاية لا وسيلة ينتهون إما إلى مخادعة أنفسهم وإما إلى مخادعة الناس . ولعله يعني بالتقوى التي هي غاية مظاهر التقوى التي تخلو من الصفاء الروحي وطيب السجايا .

(١٦) ليس أساس الصداقة الحب بل أساسها الاتفاق في المقاصد والأغراض مهما كان اختلاف الوسائل وحالات الحياة . قال جوتا ذلك في الصداقة بينه وبين شيلر وكانا ينشدان الحق والجمال على اختلاف وسائلها .

(١٧) كما ينبغي للمرء أن يحذر كل الحذر من العناد والإصرار على الأخذ برأي نفسه ونظره الى الأمور . كذلك ينبغي أن يحذر من عجزه إذا حاول التخلص من هذه الحالة والأخذ برأي غيره .

(١٨) كل أمر يحدث يحاول أن يشغل مكاناً لنفسه، ومن أجل ذلك يدفع أمراً آخر عن مكانه ويقلل مدَّة بقائه، فالأمور بينها تنازع كتنازع الناس البقاء ! !

(١٩) الرجال والشيوخ أميل إلى استنتاج القاعدة العامة وإلى تفضيلها . أما النساء فهم مثل الشبان أميل الى الشواهد الشاذَّة عن القاعدة — على أن كل إنسان يميل أحياناً الى

تطبيق القاعدة من غير نظر الى الأحوال الخاصة الاستثنائية ، كما يميل أحياناً الى خلق حالة استثنائية لا وجود لها .

(٢٠) لما كان الخطأ يعاد في العمل ويتردَّد كان من الواجب أن نعيد ذكر الصواب والحق مهما كانا معروفين . ومن الخطأ أن نهمل ذكرهما اعتماداً على أنهما معروفان مألوفان. وهذا يصدق في التعليم كما يصدق في الحياة الخاصة أو العامة .

(٢١) ربما استطاع المرء مقاومة مضايقة الحوادث اليومية بذكر حوادث تاريخ الجماعات الإنسانية في العصور العالمية وما كان بها من كوارث يتأسَّى بها .

(٢٢) ان أدب اللغة المكتوب المتوارث هو جزء ضئيل مما قيل وما صنع في حياة الناس . ومع ذلك نرى في كتب الأدب أموراً وقصصاً وأقوالاً وأحوالاً وآراء وأعمالاً وأحاسيس معادة مكرَّرة . وهذا يدل على أن عقل الإنسان وماله محدودان .

(٢٣) أحسن الحكومات هي التي تعلم المحكومين حكم أنفسهم بأنفسهم .

(٢٤) قد يكون خلوُّ المرء من الخطأ سببه أنه لا يعتزم عمل أي أمر معقول ، فهذا الخلوُّ من الخطأ ليس فضلاً له بل هو قصور

(٢٥) أحسن الجماعات هي التي يكون حديثها تعليماً وسكوتها تهذيباً .

(٢٦) إذا استأنف إنسان حكم أهل عصره ولجأ الى ما يتوقع من حكم الأجيال القادمة دلَّ ذلك على شعور واضح منه بأن في حياة الانسان حقاً خالداً اذا لم يظهر لأول وهلة فانه سيظهر في المقبل من الدهر ، ويحوِّل القِلَّة الى كثرة — وقول جوتا هذا صحيح ، ولكن هذا الشعور قد يكون مؤسساً على غرور الثقة بنفسه أو غرور الثقة بالناس .

(٢٧) عند المحاجَّة ينبغي الحذر من أن تنقلب الى كره ومقت كما يصنع بعض العلماء عند تفنيد كل منهم رأي مناظره . فإن شعورهم بكره رأي المناظر يتحوَّل الى شعور بكره صاحب الرأي حتى كأنه عدوٌّ لدود . وقد يكون قول جوتا هذا صحيحاً ، إلاَّ أن هذا التحول أكثر ما يكون بسبب الأثرة وحب الاستعلاء والغرور وطلب الظهور وهي صفات كثيراً ما تكون في نفوس العلماء وتظهر عند البحث النظري ، والشعور بكره الرأي إنما كان لأنه يخالف رأي كارهه ، فقد ذكر جوتا في مقال سابق ان الإنسان قلما يهمه انتصار الحق إلاَّ إذا كان انتصاره يزكي ويعزز رأيه

(٢٨) كما أن روما القديمة كان بها عدا سكانها من الأحياء سكان من التماثيل المنصوبة

في كل مكان، كذلك هذه الدنيا بها فضلاً عن الحقائق دنيا من الأوهام أشد أثراً في النفوس، وأكثر الناس إنما يعيشون في دنيا الأوهام التي في الدنيا وهم يحسبون انهم يعيشون بنفوسهم وقلوبهم وعقولهم في عالم الحقائق .

(٢٩) لقد شُبِّه ثوار الثورة الفرنسية بالمجانين ولكن أفواه المجانين قد تنطق بالحق حين يخشى المستذلون النطق به . وبالرغم من ذلك فقد حذّر جوتا الألمان من الاقتداء بالثورة الفرنسية كما نصح الأمراء بالاصلاح .

(٣٠) يكثر شكّ المرء كلما اتسع نطاق ما يطلب من المعرفة . فلا يصح أن يقال عن رجل انه يعرف شيئاً إلاّ إذا كان ما يعرفهُ أمراً محدوداً معيناً . فإذا انتفى التعيين والتحديد انتفى العرفان .

(٣١) قد ظللت أشغل نفسي وأعنّيها بالنظريات العامّة حتى فطنت إلى النجاح العظيم الذي يستطيعه أهل الفضل إذا عملوا في اتجاه واحد محدود بدل توزيع جهودهم على مطالب متعددة .

(٣٢) كنت من عهد الصغر أشجع بشغف وعبث الملكات المشكوك فيها وهذا خطأ لم أستطع التخلص منه الى الآن . والظاهر إنه يقصد ملكات غيره ولكنه ربما يصدق في نفسه أيضاً لاتساع مطالب ثقافته وتنوعها تنوعاً باهظاً فادحاً .

(٣٣) لقد عاش الناس في عهود التاريخ حتى في بحثهم عن الجمال والحق تحت ظلال الحروب المتكررة . وذلك لأن الانسان يأبى أن يحكم نفسه وهو مع ذلك يريد أن يحكم غيره . ولا نجاة للناس والأمم إلاّ بأن يتعلم الانسان ضبط النفس وحكمها بدل أن يحاول حكم غيره والسيطرة عليه .

وهذه الحكمة هي خلاصة قصة فوست وهي إنه ما دام شَرَهُ التحكم والتملك دافعاً للنفس فلا نجاة ولا أمان في العالم ، بل تعتدي الأمة على الأمة ويعتدي الانسان على الانسان

(٣٤) ان الشغف بالحق يتطلب منا أن نعرف حدود فكرنا ، فإذا انتفى هذا الشغف حلّ الخطأ ، وهو يتملقنا ويفهمنا أن فكرنا غير محدود بحدود . ومن أجل ذلك كان الخطأ أقرب الى طبيعة الانسان من الحق لأن الانسان يميل الى التخلص من الحدود .

(٣٥) ومن أجل ان آراءنا محدودة نعتقد أننا دائماً على صواب فيما نرى . وقد نرى

رجلاً كبير العقل يخطىء ويجد مسرَّةً فيما يخطىء فيه . وقد يستخدم ملكات عقله العظيمة في الدفاع عن الخطأ .

(٣٦) المقاصد السامية أجدى على طالبها من المقاصد الأقل سموًّا وسموقاً حتى ولو تحققت الثانية ولم تتحقق الأولى .

(٣٧) ينبغي الحذر من أنصاف الحمقى وانصاف العقلاء أكثر من الحذر من البُلْه ومن الذين كمل عقلهم ، لأن الأصناف الأولى أكثر خطراً . إذ أن البُلْه لبلاهتهم لا يتقنون تدبير الشرّ ، والذين كمل عقلهم يرون في مطالب عقلهم وثقافتهم ما قد يترفع بهم عن تدبير الشر . ولا يراد بالبله طبعاً المجانين الذين يدفعهم دافع اجرامي .

(٣٨) حالنا في قراءة الكتب مثل حالنا مع الأصدقاء الجُدُد . ففي أول الأمر إذا عرفنا إنساناً يسرُّنا أن تكون هناك مشابهة وملاءمة عامة ، وان يكون هناك تأثير من الناحيتين في أي جانب من جوانب الحياة . فاذا نضجت المعرفة واتصلت المخالطة ظهرت أوجه الاختلاف بين الصديقين . والمسلك المعقول لا يكون بأن نسلك مسلك الأطفال في إحجامهم ونفورهم وخصامهم ، بل يكون بالاستمساك بما نتفق عليه . ثم نفهم أسباب الاختلاف من غير إحجام ومن غير رغبة في الموافقة من غير فهم واقتناع .

(٣٩) إننا لا نستطيع معرفة الصفات الغالبة على إنسان بالنظر اليه في البيئات التي يتكلف فيها العادات والأخلاق ، كما يكون في زياراته وفي الحفلات ، وإنما نستطيع ذلك بدراسته في بيئته الخاصة التي يرفع فيها التكلف والاحتجاز .

(٤٠) ليس التسامح هو غاية ما يراد من جميل الأخلاق والطباع ، فالتسامح خطوة أولية ينبغي أن تسوق المتسامح الى فهم ما يتسامح فيه والى العطف عليه بالفهم .

(٤١) إننا كلنا نعيش في الماضي بأفكارنا واحساساتنا ، وهذا العيش في الماضي اذا استشرى يؤدي الى الهلاك . لأننا بهذا الاستشراء نصير عالة على الماضي فنعيش عليه .

(للبحث بقية) ع . ش

ريفيات فرجيل

الريفية الاولى

المقدمة

لمَّا استتبَّ الأمر لأوغسطس واستوى على عرش الامبراطورية الرومانية كافأ جنوده القدماء المحنكين على خدماتهم السابقة بأن وزع بينهم كل الأراضي الواقعة حول كريمونا ومانتوا بعد أن طرد منها مالكيها الشرعيين . وكان فرجيل أحد أولئك الذين وقع عليهم الغبن . ثمَّ قُدِّر له فيما بعد أن يستعيد أرضه بعد أن توسط ماكينا له عند أوغسطس . فألف هذه الريفية اعترافاً بجميل ماكينا مثّل فيها حسن حظه بشخص تيتيروس وسوء مصير جيرانه من أهل مانتوا بشخص ميليبوس .

م : في الظلال التي تلقيها أغصان أشجار الزان تجلس يا تيتيروس تداعب إلهة الفنون ساكنة الغابات .

نحن نضرب في الآفاق في العالم الواسع غرباء . أُخرجنا من حقولنا الممرعة وديارنا بينما أنت تغنيني أغنيات الحب السعيدة . تتمطى في راحة . وأماريليس يملأ الخمائل الظليلة

ت : هذه النعماء يا صديقي فيض معبود . فما يمكن أن أتصور أبداً أن يكون المنعم بها إلاَّ إلـهاً . وإن أول نتاج لأبقاري سأسيل دماءها دائماً قرباناً على مذبحه المقدس .

أعاد عليَّ أبقاري لترعى السهول المزهرة . وجدَّد لمزماري أنغامه الريفية .

م : لا أحقد عليك حسن حظك ، ولكني أعجب من أنه بينما السيف الثائر والنار المهلكة ترعى جيرانك التعساء حولك من كل جانب لا تقرب السيوف المعادية أرضك المجدودة .

أما ما لقيته أنا فعلى النقيض مما لقيت . بعد أن وضعت ماعزاتي العجاف صغارهنَّ على الصخور . تلك الصغار التي كانت الأمل المرجو والنتاج المؤمل من القطيع المهزول . اضطررت إلى أن أسوق تلك الماعزات من حظائرها المهجورة يهدها الألم فتركت صغارها حيث وضعتها .

لقد دلتني الآلهة على قرب وقوع كوارثي الكبرى ، واطلعتني على أني سأمنى بالخسارة ولكني كنت أعمى فلم أرَ تلك البلوطة القريبة عروس الغابة إذ انشقت ، والغراب حين وقع على

الغصن الملعون ونعق . وكان نعيقه في الناحية اليسرى . كانت هذه هي النذر ولكن قل لي يا تيتيروس أية قوة في السماء حفظت عليك حالك وأبقت عليك مالك في تلك الساعة الخطيرة ؟

ت : كنت من الحمق بحيث ظننت أن روما الامبراطورية كمانتوا إذ نحضر فيها أيام الأسواق وقد سقنا أمامنا حملاننا الوديعة من بيوتنا .

وكانت الماعزات عنوان سادتها وربّاتها وموضع مقارنة بين مالكيها .

ولكن مدن الريف إذا قورنت بها بدت كصغار العشب حين تكون الغابات قريبة .

م : وأية مناسبة كبرى إذن ساقتك من هنا إلى روما .

ت : الحرية التي جاءت أخيراً وإن كانت قد جاءت على مهل .

ولم يبدأ بحثي عن الحرية إلاَّ بعد أن تبدل لون لحيتي . ولا جاد آماريليس بنظرة حتى خرقت أوهن روابط جالاتيا .

وحتى ذلك الحين كنت طريداً ريفيًّا لا أمل له ولا معين . لا ينشد الحرية ولا يأمل في كسبها ، فرغم إني بعت الكثير من مواشيَّ ، ومن أني حملت إلى الأسواق كثيراً من الجبن إلاَّ أن القليل الذي تيسر لي كسبه ضاع . وعدت أفرغ مما ذهبت .

م : أدهشنا أن نرى زوجك ترتدي السوادا غير عالمين أنها والهة حتى تعود .

وتساءلنا في عجب . لِمَ أبقت فاكهتها طول ذلك الأمد ؟ ولمن بقي التفاح على أغصانه دون جني حتى فات أوانه ؟

ولكن الآن يذهب العجب فهي أبقت كل ذلك لك يا تيتيروس .

من أجلك بدت الينابيع الدفاقة حزينة وأقسمت الأشجار المتهامسة أنك ستعود .

ت : وماذا كنت أفعل ؟ هنا كنت مقيداً ولم يعد هناك أثر من حرية سماوية .

وما كنت لأفكر في مكان آخر سوى هناك أجد فيه إلهاً مميماً لصلاتي .

فرأيت أول من رأيت ذلك الشاب سليل الآلهة الذي تذهب اليه فديتنا شهراً بعد شهر وسمع شكاتي وأعلن في أريحية أمره بأن نحفظ عليَّ أرضي وقطعاني التي كانت لي أولاً لترعاها .

م : أيها الرجل المجدود ! الذي بقيت له مزارعه — تكفيك — وتزيل عنك آلاماً رغم أنها تمتد في السهول ، ورغم أن الأرض الحافلة بالمستنقعات تقترب من حقولك وهي لا تنتج إلاَّ الحصى فلا عجب في أن تترك نعاجك الولود المراعي دون أن تخشى مضايقة من شركاه مفسدين .

أنظر ! هذه الأشجار الصفراء التي تحد أرضك قد أزهرت وغشيت أزهارها النحل ،

النحل الشغالة ذات الطنين العذب الدائم الذي يبعث الشبان العاملين على النوم الهادىء .

بينما يأتي صوت مشذب الأشجار من الصخور المجاورة وهو يغني أغنيات ريفية فيطيل الأحلام الجميلة . وبينما تشكو الحمائم آلام الحب وتبث أشجار الغابة أشجان ذلك الحب .

ت : سيتبادل سكان البحر وسكان الهواء كل مكان الآخرين ، وسيستقر السمك على البر وستطير الغزلان في الهواء . وسيقيم الفرسان المنفيون على حدود آرار وسيشرب الألماني الأزرق التيجريس .

وهاءنذا قبل أن أنسى الاعتراف بالجميل والحقيقة نسيت صورة ذلك الشاب الالهي .

م : أما نحن فسنسعى الى خبزنا في أجواء مجهولة . في الأقاليم الملتهبة أو في الأقطار المتجمدة . وسيباع بعضنا في الواحات المنعزلة أو يشقى بحرارة ليبيا أو صقيع سيبيريا . والباقون سينفون بين البريطانيين منبوذين من جميع العالم .

لعمري ! هل قدر على المنفيين التعساء أن يظلوا في حزنهم سادرين . أم قدّر لهم أن يعودوا بعد كرّ السنين ؟

هل حكم علينا القضاء حكمه الجائر بألاّ نعود فنرى بيوتنا ولا أوطاننا ؟ . أم قدّر لنا أن نتبوأ عرش ريفنا مرة أخرى ونسيطر على دولة الريف التي كانت لنا يوماً ما ؟

هل كنا لهؤلاء البرابرة نزرع ونبذر البذور ؟

وهل قدّر على حقولنا أن تقصر خيراتها على هؤلاء وهؤلاء وحدهم ؟

يا للسماء ! أية مصيبة تتكشف عنها هذه الفوضى المدنية !

والآن دعني أقطف كمثراي وأقلم الكرم . فالثمار لهم وليس لي من نصيب سوى العمل وداعاً يا ريفي . يا كنز آبائي ويا حقولي المثمرة ويا قطعاني الأكثر انتاجاً !

لن أراكِ ثانية يا ماعزاتي وانتنّ تتسلقنَ المرتفعات الوعرة . أو ترعينَ الأعشاب المزهرة، ولن أراكنّ منتشرات في سفح الجبل ترعينَ الأعشاب الجبلية أزهارها فأعوادها المجردة . ولا وأنتنّ تهبطنَ المنحدرات الشديدة حتى لكأنكنّ معلقات في الفضاء !

لن ترشف غنمي ندى الصباح ولن تكون لي أغانٍ تبهج أهل الريف .

وداعاً يا مزماري الزاخر بالأنغام . ووداعاً أيتها الدنيا وداعاً !

ت : في هذه الليلة على الأقل انس همومك معي . فالقسطل واللبن والقشدة ستكون غذاءك . وسيكون بساط الأرض مغطى بورق الشجر . وستنسج الأغصان غطاء لرأسك فأنت ترى أن ظل التلال يمتد . وان الدخان يتصاعد من الأكواخ .

عبد المنعم صادق

أدب الجرائد

يظهر أن أحد المتطفلين يود أن يكسر ميزاب العين كما فعل جحى لكي يتحدث عنه الناس فصار يكتب أفاد بمعنى استفاد. فحذا حذوه بعض حملة الأقلام. وقد ورد في جميع المعجمات: أفاده علماً أو مالاً أعطاه اياه. أو أخذه منه، ضدّ. وفي المصباح قيل «كرهوا أن يقال أفاد الرجل مالاً افادةً بمعنى استفاده».

ما دام عندنا فعل استفاد وهو يؤدي المعنى تماماً وليس فيه ضد، ولا يخشى من لَبَس في استعماله فضلاً عن أنه مألوف، ومستعمل منذ نشأت اللغة، فلماذا نستعمل أفاد بمعناه وفيه علة الالتباس المذكورة والهجنة التي أشار اليها المصباح؟ — فكيف تكون الفصاحة في المستهجن؟

ولكن ما قولك في أن بعض المتحذلقين يأبون أن يمشوا على طبيعة الأشياء بل يتعمدون أن يحيدوا عنها لكي يقال أنهم فصحاء.

وأروج من استعمال أفاد استعمال «أن أحداً» لم يفعل هكذا. وأحد أنكر النكرات. واللغة تحرم الابتداء بالنكرة إلاّ بشروط ليس في هذه الجملة واحد منها. فلماذا لا يقال «لم يفعل أحدٌ هكذا»؟

أغرب التعابير في أدب الجرائد أن يستعمل المضارع مكان الماضي، كقولك: «يشرّف أمس جلالة الملك الحفلة الفلانية» ومثل هذا التعبير في الجرائد كثير، أمس زمن ماضٍ ويشرّف فعل مضارع أو مستقبل. ففي أية لغة في العالم يقال هكذا؟. والمؤسف أن كبرى جرائدنا ترتكب هذا الخطأ الذي تطبعه في أذهان عشرات ألوف القراء ويحسبونه صواباً. ومن ذلك قولهم

اللجنة السياسية تبدأ اجتماعاتها أمس . وروسيا تجري أول تجربة على القنبلة الذرية في يوليو الماضي .

ومن فظائع المتضايفات قول أحد الكتاب في جريدة كبرى « وألحّ بعض أعضاء اللجنة السياسية على وجوب بحث موضوع ارسال مشروع المعاهدة ... »

وقد أجاز اللغويون ٣ متضايفات وحسبوا المتضايفات الأربعة نافرة فما قولك بستٍّ ؟

ومن الركاكات المتناهية بالركاكة قول بعضهم « شاهدتها تقطع الفناء الملحق بالبناء المقيمة به ذهاباً وإياباً » وهو يعني « البناء الذي كانت تقيم فيه » . وقد جعل إسم الفاعل كأنه فعل وفيه ضمير مستتر رده الى التي شاهدها

من فظائع الأغلاط أيضاً قولهم « وبل » او « بل و » — وكلا الحرفين للعطف — فأما الواحدة أو الأخرى . وكذلك قولهم « أهل » وكلا الحرفين للاستفهام . ولكل من هذين و ذينك مقام .

الزوج مذكّر ومؤنثة . وكتّابنا يسرفون في استعمالها في مقام الزوجة . فما الداعي لاستعمالها هكذا وعندنا الزوجة مؤنثة ، فلا يحدث التباس في استعمالها بالتاء المربوطة . وماذا تعني بقولك « وقام بتكريم الضيوف الزوج » ؟ أهي أم هو .

ويكثر استعمال تأرجح من أرجوحة بمعنى ترجّح وليس في تفاعيل اللغة تأفعل . فاذا جاز تأرجح جاز أيضاً تأرجز من أرجوزة وتأقصص من أقصوصة وتأمبل من أمبولة . الخ . . . لا بأس بأن يجيزها المجمع اللغوي لكي تتسع أساليب التعبير .

« السيدة المصونة » على ظن أن الصفة من وزن فعول الذي يستوي فيه المذكر والمؤنث . وإنما هو إسم مفعول من صان . وليست الصفة من مصن

رعاية الطفولة

قبل الوضع وبعده

مساعدة الأم والطفل

١ — ﴿ تمهيد ﴾ — حياة الجنين الرحمية تتطلب سلامة جسم الأم وقدرتها على حمل طفلها وأن يكون غذاؤها حاوياً لكل المواد الضرورية لتكوين الطفل ونموه وأن يكون شخصها خاضعاً للرعاية والاشراف الصحيين مدة الحمل .

ولا يتطلب الحمل في مصر تبليغاً إجبارياً . ولا يبعد أن يصبح ذلك حقيقة في القريب العاجل، وفي مدة الحرب الأخيرة وبعدها كانت وزارة التموين تسمح للأمهات اللواتي يقدمنَ شهادة بحملهنّ من مركز رعاية أمومة وطفولة تعييناً إضافياً من الأقمشة لأطفالهنّ بعد الوضع . وكانت مراكز رعاية الأمومة والطفولة تصرف لهنّ الفيتامينات اللازمة بالمجان .

وفي المناطق التي توجد بها مراكز رعاية أمومة وطفولة حكومية تكون الرعاية شاملة للأم والجنين قبل الوضع وبعده . وأغلب الولادات التي تقوم بها تلك المراكز هي في الطبقة الفقيرة التي لا تستطيع أن تقوم بالنفقات اللازمة للولادة الطبيعية . وعلى ذلك فالولادات في القطر المصري تحصل باحدى الوسائل الأربعة التالية : —

١ — بواسطة مولدة من أقرب مركز رعاية أمومة وطفولة ٢ — من مولدة أو داية خصوصية . ٣ — داخل مركز رعاية أمومة وطفولة . ٤ — بواسطة طبيب خاص .

وتتلخص أعمال مركز رعاية الأمومة والطفولة في (١) رعاية الأم والطفل قبل الوضع في المركز وفي المنزل (٢) علاج الأمهات والأطفال من الأمراض التناسلية (٣) ادخال الحالات الخاصة في «عنبر» بالمركز أو تحويلها الى أقرب مستشفى أميري.

٢ — ﴿ نظام العمل في مراكز رعاية الأمومة والطفولة ﴾. في كل من هذه المراكز الحكومية يستفهم عن تاريخ كل حالة طبياً وعلى الأخص عن ناحية الحمل والولادة ويدوّن ذلك . وتفحص الحامل طبياً فحصاً دقيقاً فيحلل البول ويقاس ضغط الدم كما تقاس ابعاد الحوض، وتفحص الرئتان والاحشاء الباطنية والحوض ومحتوياته، ثمّ تؤخذ عينة دم لفحصها

لخبرة الوسرمان . وقد أصبحت الآن عامة لكل حامل .

ويقضي النظام الحكومي بالكشف الطبي للحامل في أيام مخصوصة من الأسبوع ابتداء من الأسبوع الرابع والعشرين من الحمل . ويستمر هذا الاشراف الطبي لحين الوضع. وهناك نواحٍ هامة يعتنى بها في هذا الإشراف مثل حجم الرحم وحجم رأس الجنين وأصوات قلب الجنين وحالة الأم العامة . والأمراض المتوطنة كالانكلستوما والبلهارسيا تحوّل على مستشفيات هذه الأمراض القريبة . وفي قطرٍ كهذا بالنسبة لكثرة الإصابات بالبلهارسيا فيطلب دائماً فحص بول الحوامل بالمجهر إذا كان حاوياً للزلال . وطبيعي أن العناية بأسنان الحوامل ناحية جديرة بالاعتبار. ولكن تعداد أطباء الأسنان قليل للاسف. وحالات فقر الدم وتمدد الأوردة وأوزيما القدمين والساقين تعطى دائماً العلاج اللازم. وفيما يلي نظام العمل في مراكز رعاية الطفل . —

﴿السبت﴾ — مخصص للأطفال لغاية الشهر السادس وتعمل فيه الإجراءات التالية :

١ — تقاس حرارة جميع الأطفال . ويعزل من كانت حرارته مرتفعة أو مصاباً برمد أو مرض معدٍ . وهؤلاء يفحصون ويعطون العلاج ويسمح لهم بالانصراف بدون تأخير .

٢ — الأطفال الباقون يوزنون ويقيد وزن كل منهم في ورقة مشاهدته .

٣ — تلقى محاضرة للأمهات عن رعاية الطفل .

٤ — يفحص المرضى من الأمهات والأطفال ويوصف الدواء ويصرف لكلٍّ .

٥ — تعالج حالات الرمد الصديدي والحبيبي .

٦ — يوزع على الأمهات والأطفال الضعفاء ابن حليب مغلي طازج .

﴿الأحد﴾ — مخصص للحوامل الجديدات وعلاج الأمراض التناسلية ويعمل فيه :

١ — قيد كل المعلومات اللازمة عن الحمل الحاضر والماضي في ورقة مشاهدة خاصة .

٢ — تؤخذ عينات دم لفحصها لخبرة الوسرمان .

٣ — فحص افراز الرحم أو المهبل للسيلان .

٤ — فحص البول للزلال والسكر وقياس الثقل النوعي . ويفحص البول بالمجهر في كل حالة زلال بولي

٥ — تفحص الأعضاء الداخلية (الرئتان والقلب والدورة الهضمية)

٦ — يحدد تاريخ الحمل وتاريخ الوضع المنتظر . كما يحدد وضع الجنين في الرحم ، وتقاس أبعاد الحوض ويدوّن كل ذلك على ورقة المشاهدة .

٧ — يقاس الضغط الدموي .

٨ — تلقى محاضرة عن العناية بالحمل وأسباب الإجهاض وعلاج الامساك والعناية بالثديين والجسم عموماً. وتعطى ارشادات عن الملابس المناسبة للحمل وعن حجرة الولادة.

٩ — يفحص المرضى ويوصف لهنّ العلاج ويصرف لهنّ الدواء مجاناً. كما توصف الأدوية المقوية.

١٠ — تعالج حالات الأمراض التناسلية عند الامهات والاطفال. ويخصص لذلك دفتر قائم بذاته

﴿ الاثنين ﴾ — مخصص للأطفال من سن ٦ — ١٢ شهراً:

١ — يعامل الأطفال معاملة اخوانهم المترددين أيام السبت على النحو المذكور أعلاه.

٢ — اجراء عملية التحصين ضد الدفتريا بواسطة حقن الأناتوكسين. ويخصص لذلك سجل.

﴿ الثلاثاء ﴾ — مخصص هذا اليوم للحوامل القديمات وعمليات الختان.

١ — تفحص الحوامل القديمات فحصاً طبيًا شاملاً. ويحلل بولهنّ للزلال والسكر ويقاس ثقله النوعي ويفحص بالمجهر. ويعمل ذلك مرة شهريًا في الستة الأشهر الأولى، ثمّ مرة كل خمسة عشر يوماً في الشهرين السابع والثامن، ثم مرة أسبوعيًا في الشهر التاسع. والحالات المصابة بزلال بولي يحلل بولها أسبوعيًا مهما كان شهر حملها.

٢ — تفحص الأعضاء التناسلية الداخلية ويلاحظ وضع الجنين وكيفية مجيئه.

٣ — قياس ضغط الدم.

٤ — محاضرات صحية.

٥ — فحص المرضى وصرف الدواء لهنّ مجاناً.

٦ — اجراء عمليات الختان.

﴿ الأربعاء ﴾ — مخصص للأطفال من ١ — ٥ سنوات

هؤلاء يعاملون معاملة زملائهم في أيام السبت والاثنين السابق ذكرها أعلاه.

﴿ الخميس ﴾ — مخصص للأطفال الذين يعودون المركز لأول مرة بعد الوضع. وعلاج الأمراض التناسلية.

١ — يعامل هؤلاء معاملة الاطفال المترددين أيام السبت.

٢ — يطعم الأطفال ضد الجدري.

٣ — تعالج الأمهات وأطفالهنّ من الأمراض التناسلية.

٣ — ﴿ التحصين ضد الأمراض ﴾ :

(ا) ضد الدفتريا: يعمل الأناتوكسين في معامل الصحة بمصر . ويعطى على ثلاث دفعات. أما إذا كان الأناتوكسين مرسب بالشب فيعطى على دفعتين . والكمية المعتادة هي بين ٥ر٠ سم^{٣} — ٠ر١^{٣}سم . والفترة بين الحقنتين هي ٢١ — ٢٨ يوماً . والتحصين ضد الدفتريا اجباري بالقانون في المدن . ويعمل حول نهاية السنة الأولى .

(ب) ضد الجدري : وهذا أيضاً اجباري بحكم القانون في جميع القطر . ويحضر الطعم موضعيًّا بمعامل الصحة بالقاهرة .

(ج) ضد عدة أمراض دفعة واحدة — وهذا يتلخص في استعمال (١) توكسيد الدفتريا مع طعم السعال الديكي (٢) توكسيد الدفتريا مع طعم السعال الديكي مرسباً بالشب . (٣) توكسيد الدفتريا والتيتنوس . (٤) توكسيد الدفتريا مع التيتنوس مرسباً بالشب . (٥) توكسيد الدفتريا والتيتنوس مع طعم السعال الديكي . (٦) توكسيد الدفتريا والتيتنوس مع طعم السعال الديكي مرسباً بالشب .

(د) ضد الحصبة : يمكن تلطيف الاصابة بحقن مصل أشخاص ناقهين من الحصبة أو بحقن مستحضر (Immune Globuline) أي الجلوبيولين الحصين .

(ه) ضد التيفودية : يعمل ذلك عادة بمعرفة مصلحة الصحة المدرسية لطلبة المدارس كما يعمل أيضاً في مراكز رعاية الأمومة والطفولة كلما تطلبت الحالة الصحية ذلك .

(و) ضد التيفوس وضد الكوليرا : يعمل هذا أيضاً بمراكز رعاية الأمومة والطفولة أثناء أوبئة هذين المرضين .

٤ — ﴿ الكساح ﴾ هذا المرض قديم بوادي النيل . وجد مرسوماً على مقابر يرجع تاريخها الى ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد . كما وجد في تماثيل قدماء المصريين وهو موجود بكثرة حالياً بالقطر المصري . وتتردد على مراكز رعاية الأمومة والطفولة حالات عديدة منه يوميًّا ، أما طرق الوقاية والعلاج من هذا المرض فتتلخص في اعطاء كمية كافية من الجير ومن فيتامين (د) ويعطى بعده زيت كبد الحوت وزيوت بعض أسماك أخرى ومستحضرات طبية مركزة حاوية لهذا الفيتامين . وأيضاً اللبن المشعع وبعض أغذية مشععة كما يولد الفيتامين (د) بالجلد بتعريضه للأشعة الفوق بنفسجية .

أما من الناحية الوقائية فمجرد تعاطي زيت كبد الحوت يكفي للغرض . ويعطى بمقدار ١٠ نقط يوميًّا عند بلوغ الأسبوعين الأولين ثم ٣٠ نقطة يوميًّا عند بلوغ الأربعة أسابيع . ثم ٦٠ نقطة يوميًّا عند بلوغ الستة أسابيع . ثم تزاد الكمية تدريجيًّا الى ٨

جرام عند بلوغ الثلاثة أشهر . ولو أن الأطفال المصابين بالكساح يمكن علاجهم بزيت كبد الحوت وحده الا أنه من المستحسن أيضاً اعطاؤهم كمية من فيتامين (د) المركز .

ويوجد بالسوق عدة مستحضرات لفيتامين (د) المركز. وكلها محضرة من الكالسفرول (فيتامين (د) مبلور) . ومن الممكن اعطاء كميات كبيرة من فيتامين (د) بحجم صغير . وهناك مستحضرات تعرف باسم (راديو ستول) ، (أستولين) تحوي فيتامين (د) مركزاً. ومن هذا يعطى الطفل بقصد التحصين ضد الكساح ٦ — ١٥ نقطة يومياً وبقصد العلاج ١٥ - ٦٠ نقطة يومياً .

﴿ العلاج بأشعة الشمس ﴾ — وادي النيل فقير بالأشعة الفوق بنفسجية . ذلك لأن الوادي تحفه الصحاري على الجانبين لمسافات بعيدة . وهذا مما يسبب تعلق الأتربة الصغيرة في الهواء حاجبة الأشعة الفوق بنفسجية عن الوادي . وعليه فان مراكز رعاية الأمومة والطفولة تجتهد في سد هذ النقص باستحضار الآلات الكهربائية المولدة لهذا النوع من الأشعة . وطبيعي أن تأثير هذه الأشعة هو توليد فيتامين (د) في الطبقة الغائرة من الجلد نتيجة لتأثير الأشعة المذكورة على مادة (ارجوسترول) الموجودة هناك .

﴿ المباني والمستخدمون ﴾ — كثير من مراكز رعاية الأمومة والطفولة بالقطر المصري يعمل في أماكن بالأجرة . وهذه تحوي عادة حجرة انتظار واسعة تصلح أيضاً لاعطاء المحاضرات ، وحجرة كشف ، وحجرة لفحص البول ، وحجرة جهاز الأشعة الفوق بنفسجية ، وصيدلية ، وحجرة صغيرة بها عدد صغير من الأسرة للولادات المضاعفة بالكلامسيا أو التهاب كلوي أو مرض قلبي الخ.. ويخصص من المبنى جزء لسكن المولدات .

وقد أخذت الصحة أخيراً بمبدأ بناء أماكن خاصة لهذا الغرض تحوي كل الحجرات اللازمة مرتبة هندسياً بطريقة تكفل سهولة العمل وسرعته مع راحة الموظفات والمترددات ولذلك روعي في مبنى كل مركز من مراكز رعاية الطفل أن يحوي حجرة انتظار وحجرة كشف ، وحجرات صغيرة لخلع الملابس وحجرة لفحص البول وصيدلية (لصرف الأدوية والألبان المجففة) وحجرة أرشيف وحجرة قيد (حيث تعطى كل والدة تذكرة للتردد وحيث تشاهد هذه التذكرة عند كل تردد وتستخرج بمقتضاها تذكرة المشاهدة) ، وحجرة عزل المرضى المحمومين الخ ... ، وحجرة لجهاز الأشعة الفوق بنفسجية ، وعنبر يسع من ٦ الى ٣٠ سريراً للولادات الداخلية ومطبخ وحجرة محاضرات ومكان لسيارات الأسعاف ومطبخ وحجرة للبواب . وهناك خلاف ذلك المبنى الخاص لسكن الموظفات

ومدرسة مساعدات المولدات . وبما أن مراكز رعاية الأمومة والطفولة هي وحدات تشخيصية فهي تحوي الأجهزة الخاصّة لذلك مثل أدوات فحص الأنف والأذن والحلق والعين وغير ذلك . والأمراض المتوطنة كالبلهارسيا والانكلستوما والديدان المعوية والرمد الحبيبي والصديدي يبحث عنها دائماً بين المترددات وتعالج الحالات إما بالمراكز أو بالمستشفيات الخاصة بذلك .

ويوزّع اللبن الطازج المعقم والمحلل تحليلاً كيمائياً على الأمهات والأطفال المحتاجين مجاناً . وأما الموظفات فتعلمات جيداً ومتمرنات على أعمالهن بدرجة تدعو الى الاطمئنان . وهناك فوق ذلك طبيب اختصاصي في فن الولدة وأمراض النساء يشرف على كل مركز يعاونه طبيب اختصاصي في أمراض الأطفال كلما سمحت الظروف . والموظفات هنّ رئيسة ، ومولدات مساعدات . وهناك فوق ذلك صيدلي . هذا الى ان كل مركز مزوّد بالخدم الأناث والذكور الكافيين لنظافته وخدمته . ويلحق بكل مركز كبير مدرسة لتعليم فن رعاية الأمومة والطفولة والزائرة الصحية وذلك لمدة سنة بعدها تمتحن الطالبات وتعطين بعد النجاح شهادة رسمية بذلك .

ودلتنا التجارب على أنه من الممكن الجمع بين رعاية الأمومة ورعاية الطفولة في مبنى واحد . ولذلك فإن هاتين العمليتين مجتمعتان معاً في القطر المصري . وفي ذلك وفر في المصاريف وتوحيد في الادارة واكثار في الانتاج وتسهيل في التعليم وراحة للجمهور . فحجرة الانتظار كانت تستعمل للغرضين وهي مستوفاة المقاعد والضوء والتهوية والتدفئة، وبجوار هذه الحجرة حجرة أخرى لفحص الحوامل الجديدات وتسجيل الحوامل القديمات . وتحوي حجرة المحاضرات نماذج الملابس الصحية للحامل والطفل صيفاً وشتاءً، ونماذج مجسمة لأنواع الأغذية الصحية نباتية وحيوانية، ونماذج أخرى تمثل الحالات المرضية ذات العلاقة بالحمل والطفولة، وصور رمزية، وخرائط ورسوم وزجاجات رضاعة وحلمات صناعية وألعاب صحية وغير ذلك . وتحوي حجرة المحاضرات فوق ذلك ساعة حائط و « سبورة » لشرح المواضيع المختلفة . وهناك حجرة تحوي ميزان الأطفال والرضع . وتحوي حجرة الفحص عدة التعقيم ، وقفازات من المطاط ، وأدوات تحليل البول ، ومقياس ضغط الدم، ومقياس أبعاد الحوض ، وقساطر ومناظر مهبلية وأدوات أخرى جراحية ، وثريات كهربائية، واسطوانات داخلها أنواع الغيار المعقم وأجهزة لأخذ العينات المختلفة للفحص الطبي . وتعطى المحاضرات الصحية بشكل حديث للامهات بالاستعانة بالنماذج والصور وغير ذلك . وبكل مركز جهاز مسرّة (تليفون) وسيارات اسعاف وغير ذلك .

٦ - ﴿ تعليم الجمهور أصول الصحة ﴾ قدرت وزارة الصحة في مصر منذ مدة طويلة أهمية هذه الناحية وخصوصاً فيما يتعلق برعاية الأمومة والطفولة . ولذلك فإن الوزارة أصدرت الكثير من الصور الرمزية والكتيبات الصحية والكتب الطبية ومقالات الجرائد السيارة وأحاديث المذياع والروايات التمثيلية والأفلام السينمائية والمعارض والإرشادات المدرسية . ثمَّ غزت دعوتها الصحية الجمعيات النسائية على اختلاف أنواعها ومراكز فحص الراغبين في الزواج والكليات الجامعية وغير ذلك .

ويمكن تلخيص برنامج تعليم الجمهور أصول الصحة بمراكز رعاية الأمومة والطفولة فيما يلي :

﴿ الشهر الأول ﴾ — (١) أهمية نظام تغذية الطفل ورعايته . (٢) قيمة رضاعة الثدي . (٣) قيمة وزن الطفل وأهمية تسجيله . (٤) حمام الطفل والأم . (٥) أهمية التردد على مراكز رعاية الأمومة والطفولة .

﴿ الشهر الثاني ﴾ — (١) حديث عن تغذية الطفل . (٢) حركات الأمعاء (كمية البراز . نوعه . وانتظامه) . (٣) أهمية فحص الأم بعد الوضع . (٤) النظافة .

﴿ الشهر الثالث ﴾ — (١) الاسهال الصيفي (أسبابه . الوقاية منه . علاجه) . (٢) سرير الطفل . (٣) ملابس الطفل والأم . (٤) أهمية مراقبة نشاط الطفل وراحته . (٥) حمام الشمس . (٦) التحصين ضد الأمراض .

﴿ الشهر الرابع ﴾ — (١) حديث عن العادات الخاصة بالأكل والنوم والأخلاق . (٢) أهمية الارشاد الصحي . (٣) الرمد الصديدي والحبيبي (أسبابهما . طرق الوقاية منهما وعلاجهما) . (٤) فائدة عصير البرتقال . (٥) زيت كبد الحوت .

﴿ الشهر الخامس ﴾ — (١) تحذير من الأغذية الجاهزة المستحدثة . (٢) العناية بالعينين (٣) حديث عن التسنين والعناية بالأسنان . (٤) ارادة التبول (٥) أثر المجتمع على الطفل .

﴿ الشهر السادس ﴾ — (١) الأغذية الاضافية . (٢) الزكام . (٣) السعال الديكي . (٤) التهاب الحلق الغشائي (القلاع) . (٥) النزلات الشعبية . (٦) اضطراد النمو وزيادة الوزن . (٧) التطعيم ضد الدرن بطعم B.C.G. . (٨) لعب الأطفال أنواع الألعاب . أماكن اللعب .

﴿ الشهر السابع ﴾ — (١) الكلام على البلهارسيا . (٢) الكلام على الانكلستوما .

(٣) الكلام على ثعبان البطن (أسكاريس). (٤) الكلام على الديدان الخيطية . (٥) زيادة العناية بالطعام . (٦) التحصين ضد الأمراض المعدية .

✻ الشهر الثامن ✻ — (١) أمراض قلة التغذية مثل الكساح . (٢) التسنين . (٣) الجرب . (٤) التهاب الغدة النكفية . (٥) الانفلوانزا . (٦) الملاريا . (٧) أهمية علاج الأمراض التناسلية

✻ الشهر التاسع ✻ — (١) زيادة نشاط الطفل . (٢) حمام الشمس . حمام الهواء . (٣) الدنجة . (٤) أهمية مياه الشرب النقية . (٥) أخطار الذباب وطرق ابادة الذباب .

✻ الشهر العاشر ✻ — (١) القراع . (٢) النظافة . (٣) نصائح عن الجيران . (٤) الأحذية

✻ الشهر الحادي عشر ✻ — (١) صيانة الطفل من أغذية البالغين . (٢) هيئة قعود الطفل . (٣) أخطار البعوض . طرق ابادة البعوض . (٤) دورة حياة القمل . أخطار القمل . طرق ابادة القمل .

✻ الشهر الثاني عشر ✻ — (١) ملاحظة حالة نمو الطفل من حيث وزنه وطوله . وحالة عينيه وجلده . (٢) عادات الطفل . نشاطه . (٣) غذاء الطفل . (٤) الخرافات

٧ — ✻ اللبن ✻ تعطى الأمهات وأطفالهن اللبن الحليب النقي حسب الأولية التالية : (١) الأطفال العسير ارضاعهم أو المحتاجون لأغذية اضافية . (٢) الأطفال في سن ٣ـ٥ سنوات . (٣) الأمهات الحوامل أو اللواتي يرضعن . وتعطى الأولية للبن المجفف الى الرضع أولاً . والشرق الاوسط في أشد الحاجة الى وسائل تجفيف اللبن وبسطرته أي تعقيمه . وإذا تعذر هذان الاجراءان أو أحدهما وجب ارشاد الأمهات الى ضرورة غلي اللبن قبل تناوله وبالأخص لدى الرضع والأطفال .

ويتحتم على أمم الشرق الأوسط العناية بأسنان الأطفال وبالأطفال المعوزين وذلك عن طريق تحسين صحتهم العامة

٨ — ✻ حقوق الطفل ✻ لما عرضت حقوق الطفل بواسطة هيئة الأمم المتحدة على مصر قوبلت بالموافقة الاجماعية .

وفيما يلي نص هذه الحقوق بعد التعديل (سبتمبر ١٩٤٨) .

إن « حقوق الطفل » المعروفة « ببيان جنيف » تقرر بأن رجال ونساء جميع الأمم يعترفون بما للطفل من حقوق على الانسانية وذلك باعطاء الطفل أحسن ما يمكن اعطاؤه ويقرون بأن من واجبهم القيام بهذه المسؤولية على الوجهة التالية :

(١) — يجب حماية الطفل بصرف النظر عن اعتراض كل اعتبار آخر بالنسبة للعنصر أو

الوطن أو العقيدة . (٢) — يجب أن تتوفر للطفل الوسائل اللازمة لنموه الطبيعي المادي والخلقي والروحي . (٣) ـ تجب رعاية الطفل خصوصاً من الناحية العائلية . (٤) ـ يجب اطعام الطفل الجائع وعلاج الطفل المريض ومساعدة الطفل المتأخر وتقويم الحدث المجرم وايواء اليتيم والمشرد ورعايتهما. وان يكون للطفل الأولية في الاسعاف وقت المحن . (٥) اعتبار حماية الطفل جزءاً لا يتجزأ من نظام الرعاية الاجتماعية والتأمين الاجتماعي. ويجب تهيئة الظروف التي تعاون الطفل على كسب عيشه كما يجب حمايته من الاستغلال بكافة صوره . (٦) ـ يجب تنشئة الطفل تنشئة ذهنية توجه فيها مواهبه لخدمة أقرانه.

(٩) ـ ﴿ **الطب الاجتماعي** ﴾ ـ لا شك من أن الأمراض المتوطنة كالبلهارسيا والانكلستوما والديدان المعوية وغيرها ، وكذلك الأمراض التناسلية والدرن والملاريا وغيرها من الأمراض المنقولة بواسطة الحشرات ، كل هذه تؤثر تأثيراً شديداً في حياة الطفل وأمه. برفع نسبة الوفيات في هاتين الطائفتين. وربما كانت الذبابة أبرز شخصية في هذا الائتلاف الاجتماعي . وقد عمل اتفاق مع مؤسسة الصحة العالمية W.H.O. ومؤسسة صحة الطفولة للامم المتحدة (UNESEF) للبدء في الحملة ضد الدرن بتعميم الطعم المعروف باسم (BCC) بالقطر المصري . وينتظر أن تكون هذه الخطوة كفيلة لمنع انتشار هذا المرض بين الرضع الأطفال المصريين .

وكانت للحملة التي قامت بها وزارة الصحة بعلاج الأمراض التناسلية في مراكز رعاية الأمومة والطفولة أثرها الملحوظ . ومع ذلك فإن هذه الأمراض تعالج أيضاً في كل جهات القطر في عيادات الأمراض التناسلية بنشاطها الخاص . وقد أنشأت وزارة الصحة قسماً خاصاً لهذه الأمراض ألحقته بمصلحة الصحة الاجتماعية .

ولا بدّ من وضع الخطط لدراسة شؤون الأمومة والطفولة طبيًا واجتماعيًا واقتصاديًا في هذا القطر والأقطار الشقيقة . كما يجب استقصاء أسباب وطرق منع ولادة الجنين ميتاً، وأيضاً أسباب زيادة الأمراض والوفيات بين الأطفال في الشهر الأول من الولادة.

وارسال الفرق التعليمية والمستشارين الفنيين إلى الشرق الأوسط يوطد دعائم رعاية الأمومة والطفولة أيما توطيد .

﴿ ١٠ — **مواضيع هامة تتطلب الفحص** . ﴾ (ا) — العلاقة بين أمراض الأمهات ووفياتهنّ من جهة وبين أمراض الأطفال الذين تقل سنهم عن شهر ووفياتهم. (ب) — أسباب الاجهاض والوقاية منه . (ج) — بحث انتشار الكساح وأمراض قلة التغذية . (د) — أثر

التواتر والخرافات والعادات والوسط الاجتماعي على حياة الطفل ونموه .

✻ ١١ — المركز الحالي لرعاية الأمومة والطفولة في مصر . ✻ (ا) — أقامت وزارة الصحة في الريف المصري مراكز صغيرة لرعاية الأمومة والطفولة ضمن مجموعات صحية . ويوجد من هذه الآن ١١٢ مركزاً . هذا خلاف ٧١ مركزاً كبيراً موزعاً على المدن . (ب) — ان تفشي الأمراض وزيادة الوفيات بين الأطفال خسارة اقتصادية ما في ذلك شك . ولا يقتصر الضرر على ذلك فقط ، بل يتعداه الى جيل المستقبل فيسبب انحطاط المستوى الصحي وضعف قوة الانتاج . وطبيعي ان نجاح علاج هـذه الحالة رهين بانشاء ادارة صحية أهلية متوفرة على هذا العمل . (ج) — ونمو حالة الطفل النفسية وارتباطها بخلق الأم ناحية أخرى هامة في رعاية الطفولة تستحق الفحص الدقيق . (د) — المولدة : — ينص قانون التوليد (عام ١٩٤٩) على كل من يزاول مهنة التوليد ان يكون حائزاً على تصريح رسمي بذلك . ولهـذا القانون أمثاله في البلدان الأخرى . والتصريح لا يعطى إلا لمن قـد أتمت مدة دراسة علم الولادة بإحدى المعاهد الرسمية . وقد اقتصرت هـذه الدراسة بادىء ذي بدء على سنة واحـدة بالنسبة لشدة الحاجة الى هـذه الطائفة ، وتعلم عادة الولادة مع رعاية الطفولة بمدارس ملحقة بمراكز رعاية الأمومة والطفولة الكبيرة في القاهرة والريف . ولم يحصر بالضبط تعداد الولادات السنوية التي تشرف عليها مولدات في القطر المصري . ولكن تجاربنا تجعلنا نقدر ذلك بحوالي ٤٠ ٪ من الولادات ، وتكون بذلك أقل من الواقع . (هـ) — زيادة وفيات الأطفال . يبلغ تعداد المواليد في القطر المصري سنوياً حوالي ٦٥٠٠٠٠ ووفياته ٤٣٠٠٠٠ ومن هذا العدد الأخير ٢٤٠٠٠٠ طفلاً أقل من خمس سنوات . ومن هـذا العدد ١١٠٠٠٠ رضيعاً ، ١٣٠٠٠٠ طفلاً بين السنتين والخمس سنوات . وفيما يلي بيان بالنسبة الألفية لوفيات الأطفال بالقطر المصري في الفترة ١٩٣٧ — ١٩٤٥ أوردناها من قبيل المثال :

السنة	النسبة الألفية لوفيات الأطفال	
١٩٣٧	٢٢٢	
١٩٣٨	٢٠٤	
١٩٣٩	١٩٠	
١٩٤٠	١٩٧	
١٩٤١	١٩٨	
١٩٤٢	٢٤٧	أثر حالة الحرب
١٩٤٣	٣٣٧	
١٩٤٤	٢١٥	
١٩٤٥	٢٠٧	

ومنه يتضح أن التحسن بطيء ولكنه مطرد . والواقع ان هذا التحسن ظاهري أكثر منه

حقيقي . ففي الوقت الذي كان فيه القطر يقاوم زيادة وفيات أطفاله كان في الوقت نفسه يقاوم عادة الدفن السريّ في الريف . وعلى كل حال فان تقسيم الأعمار بالقطر الى فئات ومعرفة نسبة كل فئة الى ما عداها خير دليل على تحسن المستوى الصحي الناجم من رعاية الأمومة والطفولة . فالفئة الواقع سنها بين ٤٠ و ٥٩ سنة كانت نسبتها الى جملة السكان ١٤٫٨ ٪ سنة ١٩١٧ زادت الى ١٦٫٠ ٪ عام ١٩٤٥ . ولا غرابة في ذلك فالطفل السليم أقوى على بلوغ العمر (٤٠ — ٥٩ سنة) من الطفل الذي أضناه المرض .

(و) — فيما يلي بيان بنشاط الـ ٧١ مركزاً لرعاية الأمومة والطفولة التي تعمل في المدن والحضر وذلك عام ١٩٤٨ . —

تعداد الولادات	١٠٨٦٢٦
» الأطفال المترددين	١٧٧٥٠٨٥
» الحوامل الجديدات	١٢٤٢٥٦
» » القديمات	٥٥٩١٢٢
» من تطعم ضد الجدري	٥٢٣٧٠
» من تطعم ضد الدفتريا	٢٧٧٢٢
» الزيارات المنزلية للأمهات الحوامل في الشهر التاسع	١٦٩٩٥
تعداد الزيارات المنزلية للأمهات النفساوات	١٧٧١٢٢
تعداد الزيارات المنزلية للاطفال	٧١٢٣٥
لبن طازج مجاناً بالكيلو للاطفال ١ والأمهات	٢١٩٣٤٠
تعداد من تعالج للزهري من الأمهات	٨٨٧
تعداد من تعالج للزهري من الأطفال	٤٦٦
تعداد ما وزع من الملابس الجاهزة مجاناً	٣٤٠٨
تعداد ماوزع من الأقمشة بالمتر مجاناً	٦٠٩٣

(ز) — وفيما يلي بيان بنشاط الـ ١١٢ مركزاً لرعاية الأمومة والطفولة بالريف وذلك في عام ١٩٤٨

تعداد الولادات ٣٠٠٥٧ ، وتعداد الأطفال المترددين ٢٦٤٧٣٤ ، وتعداد الزيارات المنزلية ٢٧٨٤٦٨

١٢ — ويمكن تلخيص سياسة رعاية الأمومة والطفولة في مصر فيما يلي : —

(ا) — تخفيض وفيات الأطفال.

(ب) — تحسين المستوى الاجتماعي والصحي . (ج) — زيادة تعداد مراكز رعاية الأمومة والطفولة . (د) — زيادة وظائف الأطباء الاختصاصيين في أمراض الأطفال والولادة . (هـ) — إنشاء عنبر للولادات الداخلية بكل مراكز رعاية الأمومة والطفولة. (و) — الاستعانة الطبية بالمستشفيات القريبة فيما يتعلق بـ (١) الرأي الفني (٢) الوضع (٣) فحص الأشعة

السينية . (ز) — توزيع الأغذية بالمجان على الأمهات الفقيرات . (ح) — منح إجازات مرضية كافية لكل عاملة للوضع والنفاس . (ط) — توزيع اللبن المجفف بالمجان على الأطفال الضعاف (ي) — الاكثار من مراكز الكشف على الراغبين في الزواج . (ك) — الاكثار من مراكز مدارس الأطفال الشواذ . (ل) — الاكثار من متنزهات الأمهات والاطفال . (م) — الاكثار من مراكز دور الكفالة ودور الصناعة . (س) — الاكثار من مراكز سن تشريع لرعاية الطفل .

﴿ملحق﴾ — تمكننا من معرفة مدى انتشار الزهري الكمين في مصر من فحص دماء الأمهات المترددات على مراكز رعاية الأمومة والطفولة . ففي الفترة من ١٩٤٠ — ١٩٤٧ فحصت ٤٦٩٨١٢ عينة لخبرة الوسرمان فكانت النتيجة إيجابية في ٥٧٤٧٤ عينة أي أن النسبة الإيجابية هي حوالي ٨ ٪

ويدرس قيم الأمراض التناسلية بوزارة الصحة مقال الاستاذ إيفان توماس الذي نشرته الهيئة الصحية العالمية (W. H. O.) بجنيف في مارس سنة ١٩٤٩ . وفيما يلي تعريب فقرة هامة وردت بالمقال المذكور خاصة بطريقة علاج الزهري أثناء الحمل (ص ٩) .

« لما استعمل البنسلين المذاب في الزيت وشمع النحل في علاج الزهري أثناء الحمل كان المتبع في الولايات المتحدة اعطاء ٤٥٠ر٠٠٠ وحدة يومياً لمدة عشرة أيام و ٣٠٠ر٠٠٠ وحدة يومياً لمدة ١٢ يوماً » .

ولما أمكن الحصول على بروكاين البنسلين (ج) المذاب في الزيت واليومنيوم موناستيرات وهو المعروف طبياً بإسم Procaine penicilin Gin oil alluminium monasterate أصبح الحقن اليومي غير ضروري . ولو ان الاحصاء لم يعمل للآن عن نتيجة علاج المصابات بالزهري بهذا المستحضر إلا أن الدلائل كلها تشير الى أن حقن ٦٠٠ر٠٠٠ وحدة ثلاث مرات أسبوعياً لمدة أسبوعين تعادل في تأثيرها حقن ٣٠٠ر٠٠٠ وحدة من نفس المستحضر يومياً لمدة ١٢ يوماً . وليلاحظ أن اعطاء ٦٠٠ر٠٠٠ وحدة من Procaine Penicilin Gin oil Alluminium monstearate ثلاث مرات أسبوعياً لمدة أسبوعين يعني أن مدة العلاج تبلغ ١٨ يوماً واذا تعذر العلاج بالحقن ثلاث مرات أسبوعياً فإني واثق من أن اعطاء ٦٠٠ر٠٠٠ وحدة مرتين اسبوعياً لمدة ثلاث أسابيع يكفي لحماية الطفل من الزهري في أغلب الاحوال . وعلى العموم فان الموضوع بأكمله لا يزال تحت البحث

الدكتور حسن كمال بك

مدير عام مصلحة الصحة الاجتماعية

مكتبة المقتطف

١ — الموسيقى الشرقية بين القديم والجديد

تأليف الاستاذ احمد أبي الخضر منسي — صفحاته ٦٠ صفحة من الحجم المتوسط
طبع بمطبعة دار الطباعة المصرية الحديثة بمصر

الأستاذ أحمد أبو الخضر منسي كاتب معروف قدير ، جم النشاط ، وافر الانتاج ، له عدة مصنفات في العربية والفرنسية . ومع أنه صحفي قديم ، فقد اشتغل بالتربية والتعليم .

وكان آخر ما أخرجه من مؤلفاته ، كتابه اليوم عن الموسيقى الشرقية بين القديم والجديد . وهو كتاب على صغر حجمه ، أفاد وأوفى ، بأسلوب رشيق بليغ ، وبحث طريف ودفاع مبين عن قضية الموسيقى الشرقية ، يريك فيه البون كبيراً بين قديمها الفحل المطرب ، وهذا الجديد الذي حشي بالأنغام الافرنجية ، فجاء غريباً نافراً ، لا يرضي الأذن والنفس الشرقية ، ولا الأذن والنفس الغربية . إذ لكل منهما طبائع وأذواق تختلف كل الاختلاف ، كما حوى كتابه عدة نوادر طريفة خاصة عن المغنين القدامى .

ويرى المؤلف ولا يفوتنا هنا أن نذكر أنه موسيقي قدير ، عالم بفنون النغم وضروب المغاني الشرقية ان من لا قديم له ، فليس له جديد . وهو لا يقول بنفي الجديد ، ولكنه يريده ان يكون متصلاً بالقديم ، من نبعه ومن طينته ، لا أن يكون جديداً مقلوباً غريباً على حدّ ما استشهد بقول أستاذنا الكبير خليل بك ثابت ، في كلام له عن هذا التجديد فنعته « بالألحاد الفني »

وهو يرى أن التقليد مزر بالقومية والكرامة ، دال على الضعف والمهانة ، مستشهداً على ذلك بكلمة قيّمة لمدام دوستال الكاتبة الفرنسية المشهورة ، وهي « القوة الحقيقية لشعب ما كامنة في فطرته التي فطره الله عليها ، وتقليد الأجنبي أيّاً كان وكيفما كان مفسدة لوطنيته مضيعة لكرامته »

فنهنىء الأستاذ المؤلف بكتابه ونرجو له اطراد التوفيق والنجاح في خدمة الأدب والفن .

٢ – أعلام من الشرق والغرب

تأليف الاستاذ محمد عبد الغني حسن – صفحاته ٢٠٣ من القطع المتوسط – صدر عن دار الفكر العربي بمصر

أولعت منذ حداثتي بتراجم العظماء فقرأت أول ما قرأت كتب أعلام المقتطف، ورجال المال والأعمال والروّاد وغيرها من كتب التراجم، ثم كنت أتصفح من آنٍ الى آخر مجلدات المقتطف وغيرها من المجلات فأطالع التراجم التي انطوت عليها صفحاتها، وقد تركت في نفسي مطالعة هذه التراجم عقيدة ثابتة بأن خير الوسائل لعرض المعارف على الشبان والشابات وتشويقهم الى الاستزادة منها تقوم على ادماج الحقائق العلمية والتاريخية والأدبية المختلفة في صلب تراجم العظماء فيطالعها الشبان وكأنهم يطالعون قصة محببة وعندئذٍ تثبت في أذهانهم.

ولما صدر كتاب أعلام من الشرق والغرب للصديق الشاعر الأستاذ محمد عبد الغني حسن اغتبطت به كل الغبطة وأقبلت عليه بشغف كبير وأمضيت في مطالعة فصوله الشيقة بعض ساعات ممتعة.

والأستاذ الشاعر محمد عبد الغني حسن معروف لدى قراء المقتطف ببحوثه الأدبية التي كان ينشرها فيه من وقت الى آخر، فاذا كتب فصول هذه التراجم كتبها بأسلوبه الأدبي الرشيق وباتزانه المعروف

والكتاب يضم بين دفتيه سيرة ثلاثة عشر علماً من ذوي الأثر في النهضة الحديثة لم تترجم لهم كتب التراجم المتداولة بين أيدينا وانما كنا نجد سيرة أكثرهم متفرقة مبعثرة في أسطر قليلة في شتى الكتب والمجلات، وكنا إذا شئنا أن ننقب عن هؤلاء الأعلام نتعب كثيراً وننفق وقتاً طويلاً في استقصاء أخبارهم وتتبع رواياتهم، فحمل عنا الأستاذ المؤلف هذا العبء الثقيل، وعكف على دراسة تراجمهم، استقاها من بطون الكتب وقطفها من ثمرات أفكارهم في آثارهم، وحللها تحليلاً دقيقاً وقدّمها لنا باقة جميلة في كتابه.

وضمّ الأستاذ إلى هذه المجموعة من أعلام الشرق ثلاثة من أعلام الغرب رآهم عندنا شبه مغمورين وهم «هنري دافيد ثورو» كاتب الطبيعة، و «جيمس رسل كويل» في طليعة النهضة الأدبية في نيو انجلاند و «ادجار والاس» القصصي المعروف.

فنهنئ الأستاذ الشاعر محمد عبد الغني حسن بكتابه النفيس ونرجو له اطراد التوفيق في خدمة الادب الرفيع كما نقدر له جهوده الطيبة ووفاءه العظيم نحو جمهرة من أعلامنا الشرقيين وبعض أعلام الغرب كانت تراجمهم مبعثرة مغمورة.

اسبيرو جسري

باب الأخبار العلمية

الطائرات ذوات المراوح الأفقية

« الهليكوبتر في خدمة الصحافة »

جاء في أحدث الأنباء من أمريكا ، أن إحدى صحف بورتلند « وهي كبرى مدائن اقليم أوريجون ، في ولايات جمهورية أمريكا الكبرى واشتهرت بمصانع الورق وتجارة القمح ومطاحنه ، وبصنع الأثاثات الخشبية وغيرها » قد سبقت زميلاتها في استخدام الطائرات في أعمالها . فغدت تتلقى أخبارها من الجو ، حيث تهبط على دار جريدة أوريجون ، طائرة من طراز هليكوبتر « تسمى دراجون فلاي Dragonfly فتجثم على مبنى سقف ادارة الجريدة في أثناء خلو عمالها من أعمالهم الصحفية . وتبعد هذه الدار عن مكتب رئيس تحرير الجريدة هناك بمسافة تقطع في عشر ثوان .

وتعدّ هذه الطائرة الصحفية ، الأولى من نوعها ، التي تستخدمها الجريدة استخداماً متواصلاً . ويقودها قائد ، هو نفسه مخبر الجريدة . وتقلّ فوجاً من المصورين الفوتوغرافيين . وهذا من شأنه إدخال عنصر جديد أصلي من عناصر معالجة شتى واجبات الصحافة التي يؤديها مخبروها ؛ وهي نقل أخبار الحرائق ، والقتل ، وتعقب الأشرار ، ونشر حوادث الألعاب الرياضية والحفلات العامة والمآدب وأمثالها .

ولا غرو فهذه الطائرة الجديدة ، لا تكترث لبعد الشقة اكتراثاً يذكر . إذ يتاح لها قطع مرحلة تبلغ مائة ميل في الساعة . وهذا فضلا عن استقرارها ، عقب قيامها بأشغال جمة ، وذلك في مهبط منزلي تبلغ مساحته مائة قدم مربعة ، فوق مبنى مؤلف من ثلاث طبقات محتوية على معدات تنتج أحدث جرائد العالم .

وفي المنطقة الأمريكية الواقعة في شمال نهر الأوهيو ، (وهي المؤلفة لولايات : أوهيو ، وأنديانا ، ومتشيغان ، وإيلينويز وويسكونسن ، التي تعدّ من أجمل المناطق مناظر في بلاد الولايات المتحدة الأمريكية) استطاعت الهليكوبتر المشار إليها نقل مخبري الجرائد ومصوري الحوادث فوتوغرافيًّا إلى بيئات بدائية ، وأوساط نائية ، ما زالت باقية على أحوالها الفطرية التي شاهدها فيها الهنود أولاً .

وأتيح ذات مرة لتلك الطائرة ، الهبوط في بقعة صغيرة من أرض غابة بدائية ، كانت قد استؤصلت أشجارها العتيقة تمهيداً لزرعها بالغلال . وهي المساحة الممتدة على

الشاطئين الوعرين لنهر روج ، الغاصين بالأشجار . وهو ذلك النهر الذي تتلاطم أمواجه تلاطماً عنيفاً جداً في المضايق التي تكتنف جبال سسكئيو في جنوب ولاية أوريجون . وذلك قصد إرسال برقيتين ، سلكية ولاسلكية تصفان بهما شخصية سفاح رهيب مخبول ، أتهم بإرهاب خمسة أشخاص . فتيسر بهذه الوسيلة إعادة صور فوتوغرافية مهمة ، وذلك بالطائرة الى بورتلند. فأفضت إلى القبض عليه. وبورتلند ميناء على مصب نهر ويلياميت في ولاية أوريجون مشهورة بتصدير الخشب »

ومن واجبات الهليكوبتر ، التي تعدُّ أقل خطراً وأكثر بهجة ، إذاعة صور الحفلات الكبرى للعب كرة القدم . فقد أتيح لتلك الطائرة ، إذاعة وصف الألعاب عند وقوعها في اليوم نفسه ، في موضعين هما ملعب جامعة أوريجون في مدينة أوجين على بعد يزيد على مائة ميل من بورتلند وملعب كلية أوريجون في مدينة كورفاليس ، كما تيسر اجتناب مجاوزة الحد الممنوع تعديه في اللعب . وذلك بصور التقطت في أثناء اللعب لتعرض على المشاهدين من الجانبين .

وحازت الدراجون فلاي الاستحسان الفائق في الأعمال التي تقتضي السرعة دائماً. ومثال ذلك أن الصور التي التقطتها من الجو للمهرجان العالمي المشهور ، الذي أقيم للوَرْد في مدينة بورتلند ، أعيد إرسالها جويّاً الى السرب المحلق في أعلى مكان الاحتفال وذلك في ٧٥ ثانية عقب التقاط صورة آخر منظر لذلك المعرض . على حين أن أبرع حرس من رجال البوليس وأسرع سياراتهم ، كانوا يؤدون العمل نفسه في ١٧ دقيقة . وبهذه الوسيلة استطاعت ادارة الجريدة نشر الخبر في نسخها مشفوعاً بصور العربات المزينة التي فازت بالجوائز يومئذٍ . وبيعت تلك الصحف للمشاهدين الذين كانوا على مقربة من آخر طريق لمرور موكب الاحتفال . وذلك قبل مشاهدتهم للقسم الأخير من الموكب عينه .

وتتيح الهليكوبتر الصحفية للمصورين الفوتوغرافيين الصحفيين أيضاً ، فرصة للتصوير السينمائي من مواضع وعرة. فقد أتاحت لكثيرين من أهالي بورتلند التقاط مناظر ، عن قرب ، التقاطاً يوضح مميزاتها جميعاً على نطاق واسع ، لأول مرة في التاريخ. وذلك لقنن كثير من الآثار التاريخية القديمة الباذخة والمعالم الشاهقة ، التي كانت تبدو للناظر من بعيد ، بقعاً نائية فحسب . كما كان تصوير السفن الجارية في عرض البحر يقتضي المصور الفوتوغرافي ، جهداً شاقاً فأصبح أمراً ميسوراً تجاه عدسة طيار الهليكوبتر ، وذلك بعلاج جديد . إذ المعروف أن التصوير الفوتوغرافي الجوي للسفن السابحة في البحار والمحيطات ، أصعب منه عند تصويرها حين رؤيتها من الأرض.

ومع ذلك فان قدرة الهليكوبتر على البقاء في الجو ثابتة في ارتفاع منخفض ، تعد ميزة رائعة . ذلك لأن أي اهتزاز قوي يحدث في مقعد طيار الهليكوبتر يرغمه على فتح غطاء العدسة واغلاقه ، لادخال الضوء الى الفلم أو اللوح الحساس ، ومنعه عنه بسرعة تتفاوت بين $\frac{١}{٤٠٠}$ و $\frac{١}{٨٠٠}$ من الثانية قصد الحصول على الصور السلبية الجيدة الوضوح . على حين تيسر لبعض المصورين الفوتوغرافيين الذين يركبون الهليكوبتر ، تعريض الفيلم أو اللوح الحساس لتأثير أشعة الضوء تعريضاً بطيئاً لا يزيد على $\frac{١}{٥٠}$ من الثانية وذلك في الحوادث الفجائية ، عند ما يكون الضوء ضئيلاً ، فحصلوا على صور مقبولة . وانما يتسنى هذا في حالة واحدة تهيأ عند تكاتف الطيار مع المصور الفوتوغرافي تكاتفاً تامًّا في تطيير الهليكوبتر تطييراً يحول دون اهتزازها ويمنع تحركها حركة رحوية، أضعف ما تكون ، وبتصويب آلة التصوير الفوتوغرافي في اللحظة الملائمة لالتقاط الصورة أقصى الملاءمة .

ونهج المصورون الفوتوغرافيون الذين يخدمون الصحافة في تلك الهليكوبتر « الدراجون فلاي » طريقة فنية في أعمالهم هي اجتناب ملامسة آلاتهم المصورة لجوانب مقعد الطيار . وذلك عند تعريض الفيلم أو اللوح الحساس للضياء . وبهذه الوسيلة تستغرق أجسامهم كثيراً من الاهتزاز الذي يحدثه محرك الطائرة . وهم يلتقطون أغلب الصور عن طريق النوافذ الجانبية لمقعد الطيارة في الهليكوبتر . ومع ذلك فقد استطاعوا الظفر بنتائج طيبة ، بالتقاط الصور بالآلات السينمائية المصورة التي تثبت في جؤجؤ الطائرة المصنوع من العجائن الكيميائية .

وأضحت الهليكوبتر وسيلة من أعظم الوسائل لالتقاط صور كثير من الحوادث وذلك من الأرض ، التقاطاً كان مستحيلاً فيما سلف من الزمن . لأن قدرتها على الهبوط في رقعة ضيقة من الأرض ، تقل مساحتها عن خمسين قدماً مربعة ، قد هيأ لناقلي الصور الفوتوغرافية للصحف مواقف كانت غير ميسورة لهم قبلاً . قصد التقاط صور الوقائع التي لم يتح نشرها لغيرهم . ومثال ذلك : أنه عند وقوع الفيضان في مدينة ڤانبورت الأمريكية ، أنزلت الهليكوبتر مصوراً فوتوغرافيًّا على سدّ من السدود التي غمرتها حينئذ مياه الفيضان قصد التقاط صور فاستطاع عاجلة المصور التقاط صور لجانب من ذلك السد ، قبيل طغيان المياه عليه ، بثانية واحدة من الزمان . ثم تسنى لها الفرار آمنةً مطمئنة. على حين كان الناس الذين في وسعهم التوسل بأية وسيلة من وسائل النقل والانتقال لا بد أن تثبط عزائمهم حيال ذلك الحادث المروع .

وقد يلجأ أصحاب الجريدة نفسها الى

ربط طائرة من طائراتهم العادية ذوات السرعة التي تفوقها في الهليكوبتر ة الى الهليكوبتر نفسها بغية تعجيل نقل الأخبار الصحفية . وعندما تكون المسافات بعيدة ، ينتفع أرباب الجريدة ببراعة الهليكوبتر في الحصول على الصور المبتغاة من أماكن وقوعها . ثم يستفيدون من الطائرة العادية ، في ترحيل الصور الفوتوغرافية الى مقر الجريدة في بورتلند بسرعة تزيد كثيراً على قدرة الهليكوبتر .

وهذه الهليكوبتر من أرقى الطرز التي صنعتها مصانع بل Bell للطائرات . وسرعتها في الساعة تتفاوت من ميل واحد الى مائة ميل ، في ارتفاع عشرة آلاف قدم أو قدم واحدة . وفي وسعها الطيران خلفياً أو أمامياً أو جانبياً أو التحليق تحليقاً ثابتاً في الجو . ثم إن عجلتيها الأماميتين لها محاور تتحرك حركة تامة ، تسهل لها كل التسهيل ، الهبوط الى الأرض في الأماكن الضيقة .

وتستمد الاسطوانة المستقيمة الدوارة الثنائية الريش ، التي تقوم مقام الصاري والشراع في الهليكوبتر ، قوتها من آلة محركة من طراز فرانكلين ، يبردها الهواء . أما الاسطوانة الصغيرة الدوارة التي في ذنب الهليكوبتر فهي كمفتاح توجيهي يبطل الحركة الرحوية . وتزوّد هذه الهليكوبتر الصحفية بالبنزين من محطات الوقود المنتشرة في قوارع الطرق .

والشطر العلوي من هذه الهليكوبتر مدهون بدهان أبيض . وشطرها السفلي مدهون بدهان أخضر ، ويتوسطهما خط برتقالي اللون ، مما يجعل الهليكوپتر شبيهة بالسيارات التي تنقل الصحف إلى أماكن تسليمها . ولكنها تتميز عليها باحتوائها على جهاز تليفون لاسلكي يسهّل لراكب الطائرة عادة الاتصال بالمحطات الأرضية وتلقي أخبارها في حينها .

وفي بدء الأمر تعذر على أصحاب الهليكوپتر المشار اليها الحصول على رخصة من أولياء الأمور في مدينتهم ، تبيح لهم تطييرها من فوق جريدتهم ، إلى أرجاء البلاد التي تجاورهم . بيد أنهم ما لبثوا أن ظفروا بهذه الأمنية ، حالما اقتنعت حكومتهم بأن الآلة الهادئة المحركة للهليكوپتر نفسها لا تقتل أحداً ولا تحدث تلفاً في وسط حاضرتهم التي تعج بمتاجرها . ذلك لأنه إذا فرض فانفصلت تلك الآلة المحركة للهليكوپتر عنها استطاعت الهبوط على الأرض سالمة هبوطاً انزلاقياً مضبوطاً بواسطة اقتحام الهواء لاسطواناتها الضخمة الدوّارة التي تعلوها ، مما يجعلها تواصل دورانها . ومن ثمة يتاح جعل ميادين الألعاب الرياضية والمتنزهات والشوارع الطفيفة الحركة التجارية ، التي توجد في كبريات المدائن ، مهابط للهليكوپتر عند

الضرورة القصوى . وقد حازت الدراجون فلاي الصحفية إعجاب الذين استخدموها على بكرة أبيهم ، كما استحقت أكاليل الفخر ، ونالت رضى مؤلفي الروايات التمثيلية.

ولاشك أن الجريدة التي تملك هليكو بترآ صحفية ، ومعدات فاخرة للآلات الضرورية لصناعتها ، تمثل أحسن تمثيل ، الظفر الرائع الذي نالته آلات تلك الجريدة . ويبدأ هذا الفوز بوصول البلاغات التي يحررها مخبر الجريدة إلى آلات اللينوتيب الشديدة التعقيد ، العظيمة السرعة . فتقوم تلك الآلات بصف حروفها ثم تحولها الى قسم الاستريوتيب حيث تحول الأخبار والصور المشفوعة بها ، الى اسطوانة معدنية تنقلها أجهزة خاصة الى مطابع ضخمة ، هي آيات خطيرة من آيات الهندسة الميكانيكية العصرية .

ولا غرو ففي وسع المطبعة التي تطبع هذه الجريدة انتاج ١٣٥٠٠٠ نسخة في الساعة . كل منها مؤلفة من ٤٠ صفحة .

مكتشفات ومخترعات عصرية خاصة بالطيران

« مناظير جوية « بريسكوبات » للطائرات عابرات الأجواء »

البريسكوب منظار مؤلف من منشور زجاجي يتحرك حركة رحوية فيعكس أشعة الضياء التي تقع على سطحه ، البارز على الماء إلى جوف الغواصة . وذلك بأنبوب عمودي حيث يشاهدها الرقيب في الغواصة فيستدل بها على موقعه من سفن أعدائه . وقد اخترعت في بلاد الولايات المتحدة الأمريكية مناظير للطائرات عابرات الأجواء شبيهة بمناظير الغواصات ، تتيح لقائد الطائرة تحديد موقعه في الجو . وذلك بالبيانات التي يوضحها هذا الجهاز ، من دون الاستعانة بالقبة المألوفة للرصد التي تكون عادةً بارزة فوق سطح الطائرة . وقد أسفر استعمال هذا المنظار الجوي الذي سمي « البريسكوب المزولي » الذي يركب في الطائرات السريعة التي من طراز كليبر وخاصة الطائرة « پول جونز » التي تطير الآن بين مدينتي نيويورك وكلكتا عن نجاح باهر . وذلك في اثنتي عشرة رحلة عبر الاطلنطي . وقد أذاعت « شركة بان أمريكان ورلد ايرويز » هذه النتيجة السارة فشجعت شركات الطيران الأخرى على الاقتداء بها في استعمال هذا الجهاز في كل طائرة من طائراتها .

وهو يجمع بين البريسكوب وقبة الرصد الجويين . ويُثبَّت في مقصورة الطيران فيتيسر لقائد الطائرة التفرس في الأجواء من دون التوسل الى ذلك الغرض بتسلق قبّة الرصد ، حيث يرصد الكواكب بأنبوب صغير يبرز فوق تجويف معيّن

في غلاف الطائرة المعدني بروزاً يبلغ طوله بضعة قراريط . وهو يعدُّ اعداداً فنيًّا يجعله يدور دوراناً رحويًّا يبين أحوال الأجواء لراصدها الطيار .

باراشوت للآلات الصاروخية

البراشوت أي المهبط — آلة على شكل المظلة تنبسط انبساطاً كبيراً يعوق سرعة هبوط أي جسم كان من الجو ولا سيما من الطائرات . وجاء في أحدث الاخبار أن شركة الكهربا الأمريكية العامة في الولايات المتحدة ، أعلنت اختراعها لجهاز رحوي الحركة يشبه رمحاً ضخماً يهبط على الأرض سالماً مصحوباً بالآلات الدقيقة التي يتناولها من صاروخ سريع . ويسمى هذا الجهاز باسم (الباراشوت الاسرع من الصوت) أو البراشوت الرحوي الحركة rotochute « روتوشوت » وهو ينافي البراشوت المعتاد إذ هو ذو جسم على شكل قنبلة مجوفة تستوعب ما يوضع فيها من الآلات . وتحتوي على ريشتين دوّارتين ، ومقدمها مستدق الرأس ، ولها ذنب ذو زعانف ، طوله زهاء أربع أقدام وعرضه ثمانية قراريط . وهاتان الريشتان عند ما تفتحان يبلغ امتدادها ثماني أقدام . ويستطيع هذا الجهاز أن ينقل حملاً من الآلات يتفاوت ثقله بين ٢٠ رطلا و ٣٠ رطلاً انكليزيًّا . ويقله هو وحمله من الآلات الى الطبقات الجوية العليا صاروخٌ يدخل الحمل في جوفه فيطير به حتى يبلغ ذروة طيرانه ، فيطلق عقاله ، وعندما يهبط الجهاز من ذلك الارتفاع العظيم ويصل الى طبقة جوية أكثف هواء مما فوقها ، تأخذ ريشتاه في دورانهما دوراناً تدريجيًّا من شأنه اتخاذهما موقفاً أفقيًّا . وهذا يقوم مقام عواقة « فرملة » لحركته تخفض من سرعته الهائلة التي هي أصلاً أعظم منها في الصوت ، إذ تنخفض الى ٢٧ ميلاً في الساعة

طائرات قاطرة

كثيراً ما نرى السيارات الضخمة تجر خلفها عربات أخرى موسوقة بمنقولات شتى . وقد اخترعت طائرات قاطرة على هذا الغرار ، إذ تقوم كل منها بجر جسم ضخم ، على شكل هيكلها لنقل البضائع ، صالح للانفصال عنها ، تلتقطه الطائرة النقالة من الأرض الى الجو ، حيث تنقله الى الجهة المقصودة . فتستطيع الطيران به بسهولة ، كما تقدر على الرحيل من دونه . فهو إذن لا يؤثر في حركتها الدائمة أدنى تأثير .

وقد قامت شركة فيرتشيلد الامريكية للطيران ، باختراع هذا النموذج من الطائرات ، بناء على اتفاق عقدته مع السلاح الجوي الامريكي . ويربط صندوق البضائع هذا ببطن طائرته النقالة ، وعند بلوغها المينا الجوي المقصود يفصل منها عاجلاً ويحل غيره محله وذلك في وقت راحة الطائرة النقالة .

اجهزة الرائد اللاسلكي

في ميادين الحروب المصرية

توسل البريطانيون بالرائد اللاسلكي لتحطيم منطقة مرفأ فيلهلمز هافن ، وذلك في يوم غائم . وكان هذا الهجوم عقب فشلهم ثماني مرات في مهاجمتها في ربع النهار ولكن رجال الجيش الثامن الامريكي أدركوا في بدء الأمر أنهم لا يستطيعون الوثوق بجهاز الرادار ، وثوقاً تاماً بغير تبصر . وبلغ من اتقان الصورة التي كان الرادار يلتقطها حينئذٍ ، أن بعض الملاحين جعل يقلل من استعمال التقديرات العتيقة التي ألفوها من قبل ، وذلك اكتفاء بما كان يتجلى لهم في مجال نظر الرائد اللاسلكي إذ تبين لهم مراراً أن موضعين مختلفين كانا يكادان يتكشفان لهم كأنهما مدن وأنهار وجبال وأراضٍ متناسقة ، بعضها مع بعض ، تناسقاً صحيحاً ، فنجم عن ذلك مرة خطأ من هذا القبيل ، أفضى الى اطلاق قنابل القاذفات الأمريكية على بلاد جمهورية سويسرا . وتلافياً لهذا النقص ، واستكمالاً لتمكين رجال الفيلق الثامن ، من استطلاع الحالة الجوية بأسرها ، استولوا على مثال يدوي لرادار بري ذي موجة صغيرة جداً خيل لمخترعه أنه صالح كمحذر جوي للدفاع ضد القاذفات المعادية . فما إن ظفروا به حتى ركّبوه على الساحل الشرقي لبلاد انكلترا حيث كان أقرب ما أمكن الى الاهداف الألمانية العظيمة الشأن .

عوض جندي

توبيخ

فيما كان كسرى يشهد اعدام وزيره الحكيم بزرجمهر رأى بين الجمهور الشاهد امرأة بلا قناع وهو أمر منكر عند الفرس ، فبعث يسأل ما خبرها : قال الشاعر الراحل خليل مطران في ختام هذه القصيدة

فأشار كسرى أن يرى في أمرها   فمضى الرسول الى الفتاة وقالا
مولاي يعجب كيف لم تتقنعي   قالت له أتعجباً وسؤالا ؟
أنظر وقد قتل الحكيم فهل ترى   إلاّ رسوماً حوله وظلالا
فارجع الى الملك العظيم وقل له   مات النصيح وعشت أنعم بالا
وبقيت وحدك بعده رجلاً فسد   وارع النساء ودبر الأطفالا
ما كانت الحسناء ترفع سترها   لو أن في هذي الجموع رجالا

وكانت الفتاة بنت بزرجمهر

بين عامٍ وعام

ألا ينثني العام الجديدُ مروّعا ويشهد للعام المودَّع مصرعا
رأى الشمس تمشي في السماء كئيبةً لدنْ شاهدت قلبَ الورى متوجّعا
رأى ناظر المرّيخ يحمر حانقاً فحاذرتِ الأفلاك منه تزعزعا
وقد وجفت زهر الكواكب مذ رأت بها قبة الأفلاك مادت تصدُّعا
وغاصت نجوم الليل في حلك الدجى وغابت عن الأبصار تطلب مفزعا
أجل ينثني العام الجديد مهرولاً ليشكو لرب الدهر ويلاً مروّعا
رأى ملكوت الناس دار جهنم تعالى لهيب الشر منها ملعلعا
تردّد ثم ارتدّ يهرع هالعاً وعاد القضا المقدور ثمت وأهلعا
على أن دهر الداهرين الذي طوى السنين الخوالي لم يقف متورعا
فما زال يطوي ثم ينشر قاذفاً بأعوامه في النار يُصهرنَ أضلعا
فحتى مَ يا دهر الدهور تغضباً وحتى مَ يا أرض الذكاء تفجعا

* * *

خف الله وارجع أيها العام تائباً إذا لم تكن يا عام للسلم مرتعا
كفى الأرض ما غبّته من دم أهلها أما شبعت منها ؟ فلن تتشبّعا
لقد ملك الأرضين ابليس غازياً فصار له غزو الملائك مطمعا
أتتنا حضارات وتحت ذيولها عوامل منها مزّقتها « تفرقعا »
كما باد « مكروبٌ » بسمّ نتاجه تبيد بأهليها وآلاتها معا
فاطبق سجلّك أيها الدهر ما احتوى سوى لعنات هزّت الكون أجمعا
وقف حركات الكون إذ هي ثورةٌ أصارت نظام العالمين مضعضعا
وربيَ ليس الدهر يدري بما جرى ولا الكون يدري بالوبال الذي وعى
ولكن هو الانسان شيطان دهره وقد جعل الدنيا جحيماً فأبدعا

نقولا الحداد

فهرس الجزء الاول

من المجلد السادس عشر بعد المئة

١ القضاء والقدر
٢ تضخم الكون الأعظم — منشؤه ومصيره : نقولا الحداد
١١ لو نضب البترول استخرجناه من الماء والهواء والصخور
١٤ الحرية والعبودية : نقولا الحداد
٢٠ ضريح شهيدة الامانة (قصة)
٢٥ العزلة في رأس الجبل — محكمة العالم — مستعمرة المعتزل
٣١ معول الهدم (قصيدة) : عبد السلام رستم
٣٣ نظرات في النفس والحياة — بقية نظرات جوته : ع . ش
٣٧ ريفيات فرجيل : عبد المنعم صادق
٤٠ أدب الجرائد
٤٢ رعاية الطفولة قبل الوضع وبعده : الدكتور حسن كمال بك
٥٤ مكتبة المقتطف ٭ ١ — الموسيقى الشرقية بين القديم والجديد . ٢ — أعلام من الشرق والغرب : سبيرو جسري
٥٦ باب الاخبار العلمية ٭ الطائرات ذوات المراوح الافقية الهليكوبتر في خدمة الصحافة . مكتشفات ومخترعات عصرية خاصة بالطيران . مناظر جوية «رسكوبات» للطائرات عابرات الاجواء . باراشوت للآلات الصاروخية . طائرات قاطرة . أجهزة الرائد اللاسلكي : عوض جندي .
٦٢ توبيخ : من قصيدة لخليل مطران . ٦٣ بين عام وعام : نقولا الحداد

بعض ما ينشر في العدد القادم

من المقتطف

مصر مهد الانسان

الاول والامة الاولى

ما يعرف وما لا يعرف

ملحمة العصر : ميراث الشباب

للمشيب « قصيدة »

العزلة في رأس الجبل :

هذيان الاقلام . والنفاق المصدّق

مشاجرة : بين أحياء وأموات

وتدخل ملاك بينهم

بقية ملحق : فلسفة الوجود